19me : annéeNo 907

LeCaire 20 —11—1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٧٠ — ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

على محمود طه فى يوم ذكراه

« تناولت أمس بالبريد مجموعة « زهر وخمر » للشاعر الساحر على محمود طه فصار عندى من مجموعاته الخمس اثنتان : اللاح التائه وزهر وخمر . أما ليالى اللاح التائه ، وأرواح شاردة ، وارواح وأشباح ، فستصلنى بالبريد حالما يقع نظر أخى الشاعر على هذه الكلمة ، فأنا أحبه وأحب شعره . ولن أكلف نفسى مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه .. فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع فى عيون أولئك الخصوم نورا ، وفى أنوفهم عطورا ، وفى قلوبهم شعورا ، فلن يستطيع لسانى ! ! فيا خصوم على محمود طه : ستموتون ويبقى هو حيا ، فغراب الموت البشع ينعب فى سطوركم ، وعروس الحياة الجميلة تحلم فى قصائده .

ألا تعرفون حكاية الضفدع والحباحب ؟ إذن فاسمعوها : رأى ضفدع يوما حباحبا يلمع على حافة غدير ، فخرج إليه قذرا ساخطا وراح يبصق عليه . فقال الحباحب : ماذا فعلت بك ؟ من أين جاءك هذا الغضب ؟ فأجابه الضفدع : وأنت من أين جاءك هذا اللمعان ؟ !

على أن ما يعزينى ويطربنى ويملأ نفسى رجاء أن الإقبال على شعر على محمود طه كبير ، وفى هذا دليل كاف على أن الشعور بالجمال مطرد النمو فى مصر كما هو فى لبنان !

فيا أخى الشاعر على محمود طه : أنا أقطن أجمل بقعة فى الأرض : ورائى صنين شيخ الجبال ، وأمامى وحولى أروع وأعذب

ما مهرت به الطبيعة بلداً من بلاد الله : شاطئ كشمرك ذهب وفضة .. فضة حين أتركه في الصباح إلى المدينة ، وذهب حين أعود إليه في المساء وخليج كله فتنة كشمرك في « الجندول » وفي « كليوبترا » فاتنة الدنيا وحسناء الزمان . ورواب كشمرك شماء وادعة . وسماء .. سماء كأنها شمرك : جمال وحب وإلهام . وجو كله كشمرك غناء . وماذا أقول بعد ؟

في هذه البقعة الطيبة، في هذا الإطار الساحر، قرأت شعرك أو قل تغنيت به وأحببتك .. ويقيني أنك ستجيء يوما إلينا ، فأصعد بك إلى الشيخ صنين ونتحدر معاً إلى الروابي فالخليج فشاطئ الذهب والفضة . ويقيني أيضاً أن هذا الجبل سيظفر منك بأغنية أشجى من أغنية لا سرتين في شاطئ سرنته ! »

الياس أبو شبكة

هذه الكلمة المشرقة إشراق الفجر ، المحلقة تحليق الشعر ، الهادرة هدير القمم ، وجهها شاعر لبنان المبدع إلياس أبو شبكة إلى شاعرنا العبقري علي محمود طه بعد أن فرغ من قراءة ديوانه « زهر وخمر » .. وكان ذلك منذ سبعة أعوام !

وقعت عيناي على هذه الكلمة ، فأثارت في نفسي من الخواطر الحزينة ما أثارته ذكرى الشاعر الصديق .. ألأنها تصل اليوم بالأمس ، أم لأنها تصور الواقع فتصدق ، أم لأنها نفحة من نفحات الوفاء ؟ قد يكون هذا كله مبعثاً لتلك الخواطر الحزينة ، ولكن الموجة الأولى التي غمرت شواطئ النفس بالأسى القاهر والأسف المقيم ، هي أن أبا شبكة قد ودع الحياة فلم يملأ مكانه شاعر في لبنان ، وأن علي طه قد فارق الدنيا فلم يشغل فراغه شاعر في مصر !!

مات شوقي هنا فقال الناس من بعده : لقد مات الشعر .. قالوها وهم لا يرجون خيراً من الشيوخ ولا يعقدون أملاً على الشباب ، لأن رفة الجناح الضخم عند شوقي وامتداد أفقه الرحيب لم يكن لهما في ذلك الوقت شبيه ولا نظير . أما الشيوخ فقد ظل شوقي طافياً عليهم بشعره ، مخمداً لأصواتهم بذكره ، ساخراً من أصدائهم يرجع صداه ! وحين برز من بين صفوف الشباب شاعر جهير الصوت رصين الأداء شجي النغم ، تطلعت إليه العيون وخفقت القلوب واشرأبت الأعناق .. كان علي طه في ذلك الحين لا يزال يشق الطريق ؛ يشقه في قوة المؤمن وعزيمة المجتهد وأمل الواثق من بلوغ ما يريد . وكان الطريق تحت قدميه مفروشاً بالصخور والأشواك : صخرة من حاقد ، وشوكة من حاسد ، وغمزة تنطلق من وراء لسان ، وأخرى تنبعث من مداد قلم . ولكن صيحات العطف والإعجاب كانت تغطي على صيحات الحقد والإنكار .. ومضى الزاحف المظفر وعيناه إلى الأمام ، لا يلقي إلى الخلف نظرة ، لأنه كان يؤثر ألا يعد عينيه إلى المتخلفين !

وكان الذين يغارون منه ويحقدون عليه ، فئة من الشباب وحفنة من الشيوخ .. أما أولئك فقد راعهم ألا يسطع من بينهم غير إسم واحد ، وألا يخرج من صفوفهم غير شاعر فرد ، وألا يلحق به منهم لا حق في مضمار . وأما هؤلاء ، فقد هالهم أن يملأ المكان الشاغر صوت ينبو على سمعهم لأنه صوت جديد ، وجناح يشذ عن أفقهم لأنه منقطع الأواصر بالأمس البعيد .. وكأن النبوغ في رأيهم لا يحسب بعدد المواهب والملكات ، وإنما يحسب بعدد السنين والأيام !!

وها هي أمواج الأثير تنقل الصدى في ذلك الحين من مصر إلى لبنان ، فتهز عواطف الشعر في نفس إلياس أبي شبكة ، وتشحذ بين يديه شباة القلم ، وتطلق من بين شفتيه هذه الكلمات : «ولن أكلف نفسي مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه .. فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع في عيون أولئك الخصوم نورا ، وفي أنوفهم عطورا ، وفي قلوبهم شعورا ، فلن يستطيع لساني » !!

كان ذلك بالأمس .. أما اليوم ، وقد انقضى على وفاة علي طه عام في حساب الزمن ، فلا أظن أن الموت قد مسح بيد النسيان ما علق ببعض النفوس من أحقاد . ذلك لأن الموت حين أخذ علي طه لم يستطع أن يأخذ شعره .. وبقي هذا الشعر راسخاً في الضمائر ، ماثلا في الخواطر ، نابضاً في القلوب ! وأهتف في يوم ذكراه كما هتف إلياس أبو شبكة منذ أعوام : « فيا خصوم علي محمود طه : ستموتون ويبقى هو حيـــا ، فتراب الموت البشع ينعب في سطوركم ، وعروس الحياة الجميلة تحلم في قصائده » !!

وسلام عليك يا صديقي ... سلام عليك في الخالدين .

أنور المعداوي

الألعاب العربيـــــة

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٣ —

رأينا فى المقال السابق كيف التقت التربية البدنية بالتربية الدينية عند مبدإ الإخاء حيث تسود الألفة بين المتلاعبين . ويحرص النبى عليه الصلاة والسلام على أن يكون الناس فى جدهم ولهوهم إخوانا وزملاء فهو القائل « تآخوا فى الله أخوين أخوين » . والقائل « لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده » ولهذا كان المسلمون فى شتى مراحل الدعوة المحمدية أخوين أخوين .

وخرج عمر بن الخطاب يوما فى سفر فقال لمن كان معه « ألا تزاملون » وزامل بين كل اثنين .

وحول هذا المحور من الإخاء دارت الألعاب الإسلامية فكان دورها حلقة ذات مكانة مرموقة فى تعاليم الإسلام ؛ ذلك الدين الذى ألان من عنفوان عمر حتى قال « ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى فإذا التمس ما عنده كان رجلا » وكذلك حقا كان عمر مع أولاده الصغار فقد كانوا يركبونه ويحبونه ويسوقونه وهو أمير المؤمنين وفاتح الأمصار ، وما كان أسعده بهذه اللحظات من اللهو البرئ الذى هو اللعب المشروع من غير تناقض مع وقار الخليفة وجلال الخلافة ، فلما دخل عليه أحد الولاة ورآه على هذا النحو الذى ذكرنا استنكره منه وعندما سأله عما يفعله هو فى بيته قال بما يفيد جفوته مع أهله فعزله أمير المؤمنين .

ومن هذا الباب أيضا ما قاله على بن أبى طالب « سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد » وهل تكون هذه التسلية إلا باللهو واللعب اللذين هما جلاؤها وصقالها ؟

وفى هذا يقول أبو الدرداء الصحابى الجليل « إنى لأستجم نفسى ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لى على الحق » .

ولما كان من أغراض التربية الكاملة تهذيب النفس بترويض الأعضاء على الفنون والصناعات فإن القائمين على شؤون التعليم قد فرضوا دروس الأشغال فى المدارس ، وبهذا اللون من التربية اليدوية اتسمت حياة النبى الكريم .

سئلت عائشة : كيف كان النبى إذا خلا فى بيته ؟ فقالت : كان ألين الناس وأكرم الناس ؛ وكان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما .

وسئلت : ما كان يصنع فى بيته : فقالت : ما يصنع أحدكم : يرقع ثوبه ويخصف (يخرز) نعله ويعمل ما تعمل الرجال فى بيوتهم فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة ؛ وكان يعمل عمل البيت وكثر ما يعمل الخياطة .

وكان رسول الله (ص) يضمر الخيل ليسابق بها ، وهو الذى جعل للسباق حدوداً لا يتعداها لهو المؤمن إذ قال « لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل » وما أرفع الغاية التى ينشدها نبى الإسلام المؤمنين إذ يقول لهم « لهوا والعبوا فإنى أكره أن أرى فى دينكم غلظة » وتلك من غير شك غاية التربية البدنية ، وما أنبلها من غاية .

وتقول عائشة أيضا : كان رسول الله يخصف نعليه وكنت أغزل

وسواء كانت هذه الصناعات اليدوية الصغرى مقصودة لذاتها أو لمجرد اللهو وسد أوقات الفراغ أو مقصودة للكسب المادى فإن كلا الأمرين شريف ومشروع وإن كنا لا نزال نعتقد أنها من ألزم اللازوميات لكل الناس ولا سيما ذوى العاهات . ونحن نعلم عن مستر تشرشل وقد كان ولا يزال من مدبرى دفة السياسة البريطانية بل العالمية أنه من المغرمين بالرسم وكثيرا ما يذهب إلى سويسرا لرسم المناظر الطبيعية بريشة الفنان بحيث يستجم لنفسه فى مهمته السياسية وما أثقل أعباءها .

وعندنا نحن من النماذج الإسلامية ما يزاحم الرءوس الكبار بما كان لها من أثر فعال فى تغيير وجه التاريخ تغييراً شاملا ؛ فهذا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وقد عرف عنه أنه كان يذهب وحيدا بعيدا فى صيد الوحوش الكواسر وطالما طالع أهل مكة بقوامه الفارع وشبابه المتوثب وهو يتقلد سيفه ينتكب قوسه وينتضى فى يديه السهام ويختصر الحراب .

وكان عمر من المهتمين بالتربية عن طريق الأشغال اليدوية والألعاب الرياضية إذ يقول « من خط وخاط وفرس وعام فذاكم الغلام » وبهذا لم يهمل هذا النوع من الأشغال الذى يسمى بالإنجليزية Hobby (هوبة) . وكان رسول الله يشجع على توجيه الصغار نحو مشاهدة الطبيعة وتأمل الأحياء ؛ فقد دخل على أم أنس بن مالك فوجد ابنها أبا عمير حزينا مغتما فقال لها : « يا أم

سليم ما بال أبي عمير حزينا ؟ » قالت : يا رسول الله مات نغيره (عصفوره) فتلفت النبي إليه وقال : « أبا عمير ما فعل النغير ؟ » وكان كلما رآه قالها له مداعبا .

ولا شك أن نوع اللعبة تحدده الغريزة الجنسية . كما أنها تستجيب لغريزة حب الاستطلاع ، ثم هي مجال طبيعي يتعرف فيه الناشئ على خصائص الحيوان ، وفيه تمتد آفاق الخيال ، وتتكشف الانفعالات والعواطف نحو الحياة والأحياء في أبسط صورة .

وغريزة اللعب هذه ملازمة للانسان من المهد إلى اللحد لا تبرح سلوكه ولا ينفك عنها نشاطه . فلا تعارض بين اللعب والسن مهما يكن من هيبة ووقار .

فقد دخل النبي على عائشة وعمرها تسع سنين ، وكانت لعبتها في يدها ، ومعها صواحبها في أرجوحة بين نخلتين ، فأنزلتها أمها من الأرجوحة لتزفها إلى رسول الله .

ولم تنس عائشة لعبها بعد أن أصبحت زوجة فهي تقول « قدم رسول الله من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : بناتي ، ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع . قال : وما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قلت : فرس . قال : وما هذا الذي عليه ؟ قلت . جناحان . قال : جناحان ؟! قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه »

والإسلام يقر اللهو البريء الذي لا يفسد الطبع ولا يصرف عن الجد ، وما أصدق روح الإسلام في بيت البارودي إذ يقول :

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويلعب

إلى ما في هذه القصيدة من اعتزاز بالأدب على طلب العلا ، وافتخار بنفس أبية لها بين أطراف الأسنة مطلب ، ولها مع الوحوش صراع ، فلا عجب إذا أصغرت هذه الهامة كل مأرب .

واستقبلت جويريات بني النجار رسول الله بالمدينة بالأناشيد والمعازف ، كما أخذ الأحباش يلعبون بالحراب بين يديه ، وأخذت جاريتان تضربان بالدف في بيته فلم ينكر عليهما ذلك حتى إذا دخل أبو بكر منعهما فقال له النبي : دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا .

وذهبت عائشة يوما إلى عرس في بيت للأنصار فلما رجعت سألها النبي : « أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ » قالت : نعم قال : « فبعثتم معها من يغني ؟ » قالت : لا . قال : « أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ! ألا بعثتم معها من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا لم نحل بواديكم

والعرب تطلق كلمة (القلس) على الرجل يلعب بين يدي الأمير إذا قدم المصر .

والمداعبة والمضاحكة مما يدخل في باب اللهو واللعب بغية التسلية والترفيه ، كما كان يفعل النبي ، فقد قال لعجوز : « إنه لا يدخل الجنة عجوز » فحزنت ، ولكنه لم يلبث أن تلا عليها قول الله تعالى « عربا أترابا » فضحكت واستبشرت . لأنها سترتد في الجنة صغيرة السن عذراء حسناء ، وذلك ما تتمناه المرأة للطبع المركب فيها .

وليس المزاح من المداعبة في شيء ، لما له من أسوء الأثر في النفس ، لهذا نهى النبي عنه . ويروى أن رجلا أخذ نعل رجل فنيها وهو يمزح فذكر ذلك للنبي فقال : « لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم » وقال في حديث آخر « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا » كما نهى عن المزاح بالسلاح فقال : « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » .

وكان الإسلام حريصا على صيانة المباحة من الابتذال ، فحرم على النساء أن يسبحن عاريات حتى لا تكون فتنة . ولما دخلت الحمامات بلاد العرب وضع رسول الله حدودها فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بإزار ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » وقال « شر البيوت الحمام ترفع فيه الأصوات وتكشف فيه العورات » ودخلت نسوة من الشام على عائشة فقالت لهن : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات . سمعت رسول الله يقول : « ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها »

ويوم أن سار العرب في حياتهم على هدى التعاليم الإسلامية صانوا كرامتهم ، وشهد لهم جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » فقال « حمامات الشرق أفضل من حمامات الغرب صحة وراحة ؛ وهي عدا ذلك محل للاجتماع والمحادثة ولا تقل شأنا عما كان لها أيام الرومان »

والخلاصة أن الإسلام عندما أقر البرئ من ألعاب العرب وشذب بعضها لم يهدف إلى اكتناز الفضلات وصلابة العود، ولم يقصد إلى إطالة العمر ، ولم يدفع إلى المضارة على الضعيف بالتذرع بحجج أوهى من نسيج العنكبوت مثل « شعب الله المختار » وإنما وضع الرياضة البدنية موضع الاعتبار بأن جعلها « تربية » ذات غرض نافع وهدف رافع .

كان عصر إسبرطة يمد الفتيان للحرب كغاية تقصد لذاتها، وكان أبناء الرومان يقاسون زمهرير الشتاء وذل النفس لينشأوا قساة القلوب غلاظ الأكباد ، أما الإسبان فقد جرت دماء الوحشية في عروقهم إذ اتخذوا من « مصارعة الثيران » مسلاة وملهاة ، كلما رأوا اللاعب ينجو من غدر خصمه (الثور) عاجله بطعنة من خنجره فيخر مضرجا بدمائه .

والحق في جانب العرب في الحكم لهم بارتفاع الغريزة عما يشينها من حيوانية صارخة وشهوة عارمة ، فهم قد عرفوا رياضة الإنسان وترويض الحيوان ، فلما طالعهم الإسلام أحل الله لهم صيد البر والبحر وحثهم على الرفق في الأمر كله ، ونهاهم عن المثلة ولو بالكلب العقور فكانوا طرازا نادرا في البطولة والرجولة.

طيروا الحمام الزاجل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . وأمالوا الصقور بين يدي نبالهم تنقض على الصيد المباح ، وامتلكوا نواصي الخيل . واعتلوا صهواتها . فأكرموها غاية الإكرام وركبوا سفينة الصحراء تشق بهم الوهاد والنجاد . وتربصوا للأسود الضارية والأفاعي الحاوية ، فصرعوها في كهوفها ، فتطهرت السبل من أذى الإنس والجن .

وكانت ألعاب العرب في جملتها وتفصيلها مسايرة لمطالب الطبع البشري ، فلم يقهروا الغريزة قهرا ، — ولو أرادوا لفعلوا — ولم يهربوا من الطبع الغلاب ، بل واجهوا الحياة بما هو في الإمكان للسير بها قدما نحو الشرف والرفعة ، حتى إذا لم يعد في الطاقة مكان ، استسلم المرء للواقع المرير ، وفي القلب الكسير حسرة على الماضي القوي ، والشباب الصبي ، فذلك قول شيخ العرب ، وقد ذوى عوده ، وانطوى ظله :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعدما قوة أعز بها ... أصبحت شيخا أعالج الكبرا

ولو شاء العربي أن يرمز إلى الحياة الجامحة فإنما تكون نفسه أقرب ما يسعفه إلى غرضه ، بل تكون « الناقة » أقرب إليه وإلى الحياة من نفسه ؛ فهي محور الأرض والسماء ، ومرصد الشاهد والغائب، ومدار القوة والضعف، ومقياس الشرف والصفة ، ورمز العافية والضياع . ولهذا كان أغلب التعبيرات العربية عن النفس مشتقة من الناقة التي هي سفينة الحياة . وطالما كنى بها العربي عن نفسه في كل مظاهر الشعور .

فكان العقل من قولهم : عقل البعير ، والعقل والعقال ما يعقل ؛ والعاقلة هي العاقلة أي القبيلة لأنها تعقل البعير في أداء الدية عن المعتدي الأثيم من أفرادها . وما أبرع توربة النبي لصاحب الناقة إذ قال « اعقلها وتوكل »

والعربي يرخي لنفسه العنان كما يفعل بناقته ثم يأخذ شكيمتها ويكبح جماحها . ويزجرها عن هواها ، ويثنيها عن غربها وشموسها ويأخذ بناصيتها ، ويمتلك سنامها ، وتميل نفسه إلى ولده متأثرا بحنين الناقة إذا طربت في أثر ولدها ، وإذا أناخها فبركت ، فإنما هي نفسه التي يثنيها فتبرك . وكذلك حين يسوقها ويقودها ، ويحثها ويحدو لها فهي ذلول لا شرود ، ما دام في يده خطامها يشد عليها زمامها ، فيلزمها غرز الفضيلة وتنص به في ركاب الفضلاء ، رائده الخير لها ، ينتجعه صادرا وواردا .

تلك هي حياة العربي الذي يتخذ من الناقة سفينة إلى معالي المثل ومكارم الأمور ، حتى إذا نفض يديه من حطام دنياه لم يكن له فيها ناقة ولا جمل ، لا تخدعه فيها خضراء الدمن .

ولعمري إن الإنسان الذي يتوصل إلى ما بلغته العربي من مجد لأحق بالتمجيد والتخليد ، وحسبه شرفا أنه سلك كل وعر ،

بعد عام

على محمود طه[1]

لقد مضى الزمان بنا يخب ، حتى صرنا على بعد عام من « على محمود طه » .. ولكننا ما زلنا نرى الزورق سابحا . مبسوط الشراع ، يجرى على كف الموج ، فى أنهار الخلود ؛ لا يطويه أفق ، ولا يحجبه بعد .

— ١ —

كان « على طه » فردا آتاه الله الرهافة فى الحس ، والحدة فى الشعور ، والرقة فى الذوق ؛ فانطلق جوالا فى الآفاق يستعرض آيات الله فى جمال الطبيعة ومفاتنها .

معهدى هذه الروح وأستـ اذى ربيع الطبيعة الفينانه

واستعلى كل صعب ، حتى ألان الدنيا لإرادته . فكانت طوع أمره ، وراض بدنه لنفسه ، وروض جوارحه للمعالى ، فكان صاحب السيادة .

ومفتاح هذا الظفر أنه اتخذ من الجمل مطية لكل غرض ؛ فأصبحت الحياة بسيطة لا تعقيد فيها ، وصار من المألوف المعروف عنه أن يقول « فلان يتخذ الليل جملا » .

وإنه لمجتمع كريم ذلك الذى يدرك فلسفة الحياة فى كلمتين هما : « الغاية والوسيلة » ويدرك حقيقة البطل فى صورة فيها الجسم الجميل ، والنفس الكاملة ، والغرض السامى .

ولا شك أن الألعاب العربية فى هذا الغرض الذى أبديناه قد أوفت على الغاية ، واختارت المسلك الغريب ، فزاحمت بذلك أصحاب الحضارة ، وأثبتت أصالتها وعراقتها كلما تعرضت للمقاييس النزيهة مما نعرفه ، ولم نعرفه بعد .

محمد محمود زيتونه

(١) مات الشاعر يوم ١٧ نوفمبر ١٩٤٩م .

« ممنوع النقل والنشر والترجمة إلا بإذن الرسالة »

وقف أمام « كومو » واهتز لها فقال .

ها هنا يشعر الجـ اد ويوحي لمن شعر .

ولولا وفاء طبعت به الفطرة ، وحب لبنى النيل الأعزة ؛ لركن « الملاح » الرحال إلى أحضان هـذا الشاطئ ، يحرسه بعينيه ، ويطربه بموسيقاه .

آه لولا أحبـــة نزلوا شاطئ النهر
ورفـــات مطهـــر وكريم من السير
لتمنيـــت شرفـــة لى فى هذه الحجر
أقطع العمـــر عندها غير وان عن النظر
فلقد فاز من رأى ولقد عاش من ظفر

ولقد عاش حياته شاعرا غير الشعراء . فلم يتواضع لجنى من عبقر يستجديه القصيد ، وإنما راح يستهبط الوحى من ملائكة السماء ليندفع بعد ذلك شاديا . ينظم الحس أغانى ، ويرسل بالجمال أهازيج ، وإنه بذلك لخلاب باهر ينعم الأعماق بالإعجاب ، ويشتمل العواطف بالطرب .

وسماء للشاعر الفذ منها يستقى الشعر وحيه وبيانه
وأنا الشاعر الذى افتن بالحسـ ـن وأذكت يد الحياة افتنانه
فبورکت يا على إنك فنان
ضارب فى الخيال ملق عنانه ملك الوحى قلبه واسانه

— ٢ —

ومن خلف عشرة عقود هبت على الوادى الأمين ، أنسام المجد ، تحمل فى أحنائها ريح « إبراهيم » ، وعطر ذكراه ؛ فوجدت بين جنبى الشاعر رئة مفتوحة تفيض بالحس ، وروحا تنتشى للنبوغ فى القتال ، كما تنتشى للتفوق فى الجمال ، ولنطرق صامتين لنسمع .

فى كفك السيف فاحم الأهل والدارا
وادفع به الظلم ، واضرب حيثما دارا
اضرب بسيفك لا تسمـــع لمعتذر
لم يترك البغى للبـــافين أعذارا
لم يفهموا فى قراب السـلم مغطقه
لقاءهم عارى الحـــدين بتارا

ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

للاستاذ حبيب الزحلاوي

— ٥ —

يستوي عندي غضب الغاضب ورضى الراضي . ولست أبالي بأولئك الحكام الذين أزعجهم فأقلقهم ، وأثارهم فأغضبهم كلامي المستمد من الحقائق ، وهي جارحة . وقد قلتها للشعب .

لا لأرب ذاتي ، ولغاية حزبية ، بل أردته لسبب واحد هو « ضرورة إيقاف الشعب على الحقيقة » وهذا أول واجبات الكاتب .

صحيح أن الحقائق نسبية ، وأن ليس كل ما يعلم يقال ، والأصح من ذلك أن تكون الحقائق مجردة ، والأذهان مهيأة ، والخطط واضحة مبسوطة لمن كان حاله ووضعه كحال السوريين واللبنانيين ورضعهم على التخصيص ، وحال ووضع شعوب دول الجامعة العربية بالنسبة لما هي منكوبة به من احتلال واقعي ومن تدخل وبسط سيطرة ونفوذ هو بمثابة احتلال مبرقع .

وإيقاف الشعوب العربية على الحقائق السياسية فرض محتوم وواجب مقدس ، لا على الحاكم المسؤول الذي يريد أن يسير بأمته في طريق الإصلاح والتقدم والاستقرار فقط ، بل هو أيضا فرض محتوم وواجب مقدس على الكاتب الذي يعاون الحاكم بقلمه ، وعلى قادة الرأي من الرجال العاملين والذين يمؤازرتهم ، وعلى

دعا بهم ورماهم عن معاقلهم
جرحى وصرعى وأشلاء وأحجارا

والحرب شتى فنون أنت سيدها
إن حانت السلم ، أو لاقيت غدارا

وهذا هو يقف لتحية أبطال القتال في « الفلوجة » ويسائلهم في أسلوب شيق جميل عن وقفتهم الخالدة ، في القرية المحصورة .

هاتوا حديث الحرب كيف تطاحنت
لكم منازعها ، وهان عصيها
في قرية محصورة كسفينة
في لجة هاجت وماج غضوبها
لم تدر فيها الريح أين قرارها ؟
والشمس أين شروقها وغروبها

وهكذا في كل ناحية نجده موهوبا راسخ القدم .

— ٣ —

أما شعر الفقيد بين معالم النهضة فطفرة جريئة . أحدثت روحا جديدة ، لها لونها الخاص ، ومذهبها الممتاز . بدت تباشيرها بظهور « الملاح التائه » وصارت ضحى فتيا قد اشتد وهجه وعلا سناه بإخراج « ليالية » (٢) ؛ وإذا كان الشعر الحي : هو الذي ينبثق عن العاطفة ، ملونا بظلال النفس ، نابضا بتدفق الحياة ، فشاعرية « علي طه » بارعة فنانة ، تأتي بالصورة الدقيقة في البيت الرصين فيظن أنها تحت الباصرة مرئية واقعة ، وإلا فاسمع مع الشاعر الحالم في معاوناته الكلي حين يقول :

إذا ارتقى البدر صفحة النهر
وضمنا فيه زورق يجري
وداعبت نسمة من العطر
على محياك خصلة الشعر
حسبتها قبلة من الجمر

يالها ألوانا مسكرة مخدرة ، تطير بالروح هياما ونشوة ، وتسيل بالنفس سحرا وغبطة ... بل يا لروعة الفن الرفيع إذ يخلقه ربه وحيدا أسيفا .

القاهرة

برقات

(٢) أعني أن شعر الفقيد ذو طورين « نشوء » و « ارتقاء » . وكل ديوان من الاثنين يمثل طورا .

ضوء آرائهم يسير الحاكم بخطى وطيدة مع الشعب لتحقيق رسالته. بهذا تكون الصلة وثيقة ، والروابط قوية بين الحاكم والمحكوم . أما إذا كان الحاكم غير ديمقراطي بالنزعة ، وكانت له قواعد وقوانين دستورية كما هو الحال ، وكان ممن يلبس الوجه البشوش والثغر الباسم للأجنبي المستقوى الطامع ، ويطاطئ له الرأس كما هو الواقع، ويلبس للشعب جلد الأسد المهصور المكشر عن أنيابه، يعمل بالسر عكس ما يقول ويعلن ، وكانت له صحافة طيعة المراس. لينة العجينة ، يتسابق كتابها في إيقاد أقلامهم فيجعلون منها ناراً هادئة تحرق البخور العطر للحاكم وتضليلا للشعب كما هي الحقيقة ، فقل السلام والرحمة على ذلك الشعب المسكين ، واعلم أن نكبته بحكامه وصحافته أعظم وأدهى من نكبته بالمستعمر الطامع ، وأن مصيره بعيد عن الغاية التي أوهموه أنه صائر إليها .

وقف فلان من صديقه الحاكم يقول له في معرض الحديث « إن الحاكم القوي بعمله لا يخشى صاحبة الجلالة ، محلية كانت أو غير محلية ، ووددت لو يزداد في عهدك عدد الأقلام المعارضة فتكون لك خير نبراس للهدى » فيؤمن الحاكم النير الذهن ويعد بأن يشجع الصحف المعارضة ليسترشد بها ، وإذا بهذا الحاكم النير الذهن يوعز إلى زبانيته في قلم مراقبة المطبوعات أن تنزع من صحيفة الرسالة الصفحات التي فيها مقال « ما رأيت وما سمعت في سوريا ولبنان »

. . .

من هو الحاكم؟ الحاكم في حكومة جمهورية فرد من أفراد الشعب توفرت لديه الكفاية من موهبة وعلم وعزيمة؛ ينتخبه نواب الأمة للعمل في خدمة الشعب . والحكام الذين تداولوا مقاعد الرياسة في سورية على نوعين ، نوع اختارته السلطة الأجنبية المحتلة ، وفرضت رياسته على الشعب فرضاً كالشيخ تاج الدين الحسيني ومحمد علي العابد وسواهما ، ونوع اصطفته الأمة ، وولته الرياسة تولية شرعية دستورية لا غبار عليها كالسيد شكري القوتلي ، وكل حاكم يمثل مقعد الحكم سواء أكان رئيساً للجمهورية أم رئيساً للوزارة صنم تعبده الجماهير وأصحاب الغايات والأغراض .

عبادة الأصنام صفة أصيلة في الطبيعة الشرقية وهوى يلائم مزاجها ويدفدغ سريرتها .

وعبادة الأصنام تماثل عبادة الموتى ، وكل ميت سواء كان عزيزاً علينا أو غير عزيز ، تسمو قيمته بعد الموت ، ويجل قدره ، ويصبح له شخصية وإن كان إمعة ، وتاريخاً وإن كان نكرة .

سمعت في ما سمعت في سورية أحاديث الناس في الحكومة القائمة ، سمعت شكوى من نصرتها فئة من الشعب على فئة من الشعب، وسمعت حمداً لها لموقفها الحازم في لبنان تصفي مشكلتها معه في المصالح المشتركة ، وسمعت انقساماً في الرأي جيال موقفها من الجيش يزجرها عن الإقدام على الانضمام إلى العراق وشرق الأردن ، وسمعت ثناء على نشاطها في السعي للسير قدماً في بناء ميناء اللاذقية وإزالة العراقيل التي تؤخر استلام القرض السعودي ، وفي موقفها تصد الحكومات العربية عن التدخل في شؤونها الداخلية، وسمعت أشياء كثيرة عن الحكومة القائمة تؤيد قول ابن الوردي القائل :

إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

وسمعت الإطناب في امتداح أعمال الوزير السابق السيد خالد العظم لدقته في تصريف الأمور الإدارية على أكمل وجه ، وسمعت نقداً لمدى على قدرته الجمع بين دقة الإدارة ودقة السياسة ، وسمعت من يعطف عليه ولم أر من بكى بعده عن الحكم .

ورأيت ناساً يبكون حسني الزعيم ، لا لصفات فاضلة فيه ، بل لأنه كان يريد أن يعمل ، ولأن الشعب قد سئم أن صلاح الشعوب متوقف على وجود « مستبد عادل » وكان مرجوا أن يكون الزعيم ذلك «الرجل المنتظر» ولكنه ذهب فليرحمه الله ، وليحسن إليه .

وسمعت من يهلل للسيد شكري القوتلي ويتحزب له، ويطالب

بعودته إلى الحكم ، ورأيتهم يغسلون آثامه بدموعهم، ويطهرونه من الخطيئات بنيران قلوبهم ، ويغتفرون له ما تقدم من جرائمه وما تأخر من إجرامه ، ونسوا أنهم هم الذين هللوا يوم أسقطه الزعيم من أريكة الرياسة ، وهم الذين كبروا يوم سجنه الزعيم في سجن اللصوص والقتلة ، وهم الذين طلبوا رأسه ، وهم الذين نصبوا الزينات في شوارع البلد ونشروا ألوية الفرح ابتهاجاً بسقوط شكري القوتلي الذي فعل كذا وكذا وكيت وكيت .

كل حاكم في كل بلد صنم يعبده الناس ويرجونه ، ومن سخرية الزمن أن عباد الحكام ينقلبون إلى كافرين ومجرمين، وأن أتباع الحكام يتطورون ساعة سقوط الحاكم إلى زبانية ومجدفين ثم لا يلبث غضبهم أن يؤول إلى رحمة وشفقة بالحاكم الصريع ، يقيلون عثاره ، ويمسحون دموعه ، وينشفون عرقه ، ويضمدون جراحه ، ويواسون آلام نفسه ، ثم يهملونه وينسونه .

هذه صورة لمصير كل حاكم في كل شعب ، وفي كل زمان ، ولكن هذه الصورة لا تنطبق على حال السيد شكري القوتلي بدليل أنه بعث بعد أن مات ، وتقمص بعد أن فنى واضمحل .

وأنا أقول إن الذي يهوى ويسقط لا تقوم له قائمة . وإن الصيحات التي نسمعها هنا وهناك ، فينة بعد فينة ، إن هي إلا صراخ صبية في ريعان الصبى ترملت بعيد الزواج معناه الإعلان الصريح عن حياة جديدة مع زوج جديد ، أما الزوج الميت فلا يبعث .

الرئيس القوتلي في نظري هو من آخر من يستأهل الرحمة من كافة طبقات الشعب ، لا لأنه السيد شكري القوتلي صاحب الصفحات المسطورة في تاريخ الجهاد الوطني منذ انبثاق هذا القرن ، ولا لأنه صاحب الجلد القوي والعزيمة الجبارة في محاربة العثمانيين ومقاتلة الفرنسويين والاستعانة عليهم بالألمان تارة وبالإنجليز تارة أخرى ، ولا لأنه كان « الحركة المستديمة » كما كنا نسميه ، وإذ كان يقطع آلاف الأميال متنقلا بين الشام ومصر والحجاز والرياض واليمن في العمل المتواصل لاستقلال سورية وإزاحة نير الفرنسويين عنها ، ولا لعشرات من الحسنات تسطرها الوطنية له بحروف من المخر ، وبرغم هذه الحسنات وسواها مما يعرفها له كل سوري ؛ أقول إنه لا يستأهل الرحمة ولا الغفران لأنه أجرم في حق نفسه ، ثم في حق وطنه ثم في حق دستور بلاده؛ ولذلك يحسن أن يستمع إلى نصيحة الأمة تقول له بعودة وإشفاق « اذهب أيها الإنسان إلى منفاك لأنك لعبت دورك ففشلت » .

الحكم الدستوري تقليد لا تخليد ، ولكن السيد القوتلي وهو أول رئيس جمهورية لسورية المستقلة ، قد عبث بالدستور ، وسخر نواب الأمة لجماهم يتقولون له مادة في صلب القانون الأساسي تبيح إعادة انتخابه للرئاسة أكثر من مرة . فهذا العبث الصارخ جرأ الأمة على الاستهانة بدستورها وعلى تحويره وتبديله كلما طاب لشيطان من الشياطين إشباع شهوته من الحكم ، وهذا العبث الإجرامي هو الذي مهد السبيل للانقلابات الثلاثة . وهو الذي حمل ضباط الجيش على ذبح بعضهم بعضاً . وهو الذي بذر بذور فتنة أسأل الله أن تختنق في مهدها. وهو الذي ألقى « خيوط الحرير في الشوك » وقال لأعدائه أن يتشبثوا بمطالبة الحكومة القائمة بإلغاء الدستور ، ونحو القوانين التي سنها النواب للمحاكم ، واعتبار ما قام على الفاسد فهو فاسد ، وإعادة ما كان أيام حكمه السعيد إلى ما كان عليه ، وأن يسرحوا النواب ورئيس الجمهورية ويتبعوهم هم ليعود نظامه إلى مقر حكمه ، وصولجان ملكه .

قليل من العقل يا رجال دمشق . قليل من الرصانة التي عرفتم بها ، لا تضيعوا الوقت في مماحكات أفلاطونية وعنعنات لا طائل تحتها . إن سورية لا تموت وهي ما برحت تنجب الرجال؛ فلا تعبدوا الأصنام ولا تبكوها إذا هوت وانطرحت في الرغام .

صبيح الزهاوي

من الحوادث الأدبية

روزفلت فى مصر

للاستاذ محمد سيد كيلانى

فى شهر مارس سنة ١٩١٠ جاء مستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة سابقا إلى مصر عن طريق السودان بعد أن أمضى فترة فى الصيد فى غابات السودان . ونزل فى أسوان والأقصر وزار ما فيهما من آثار .

وقد أراد المحتلون أن ينتفعوا بنفوذ روزفلت الأدبى فى تثبيط همم المصريين وإضعاف عزائمهم حتى يرضوا بالاحتلال وينصرفوا عن طلب الاستقلال . فأوعزوا إليه أن يخطب مطريا الحكم البريطانى محبذا بقاءه . فقام فى الخرطوم وألقى خطبة أشاد فيها بمزايا هذا الحكم وفوائده؛ كما أشاد بمزايا الدين المسيحى وفضائله وتواترت الأنباء بهذا إلى أذهان المصريين فثار الرأى العام بما سمع . وقد نظم المرحوم أحمد شوقى قصيدة فريدة هى قصيدة « أنس الوجود » وأهداها إلى الرئيس الأمريكى مرفقة بخطاب جاء فيه « ... وأنت اليوم تمشى فوق مهد الأعصر الأول، ولحد قواهر الدول . أرض اتخذها الإسكندر عرينا ، وملأها على أهلها قيصر سفينا ، وخلف ابن العاص فيها لسانا وجنسا ودينا ، فكان أعظم المستعمرين حقيقة وأكثرهم يقينا . وهو الذى لم يعلم عليه أنه بغى أو ظلم أو سفك الدم أو نهى أو أمر إلا بين الرجاء والحذر، من عدل عمر ، الذى تنبيك عنه السير .

« قمت أيها الضيف العظيم فى السودان خطيبا فأنصت المصر ، والتفتت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وسواس الممالك أمثاله فطار الشعور وهو يهب، والوجدان وهو يشب، والحياة وهى تدب فى هذا الشعب . ومن حرمة العواطف السامية ألا تطارد كأنها وحوش ضارية، على صحراء أو بادية؛ كما طارت السباع بالأمس نقما من طبا ثمها الجافية ... الخ » وقد وفق شوقى فى هذه القصيدة توفيقا كبيرا وأجاد إجادة تامة ولا ريب فى أن عاطفته القوية وإحساسه المتدفق وشعوره الفياض كان حافزا له على التجويد . واهتم الشاعر فى هذه القصيدة بالتنويه بمجد مصر القديم وحضاراتها ومدنيتها وما كان فيها من العلوم وما تركه الأقدمون من العمران . وقد كان قوى الأسلوب متين العبارة . وأراد الشاعر أن يكسب عطف هذا الرجل الأمريكى حتى ينتصر لمصر والمصريين ويعينهم بنفوذه الأدبى فى قضيتهم الكبرى ؛ قضية الاستقلال .

ومن قوله مخاطبا روزفلت :

يا إمام الشعوب بالأمس واليو ... م ستعلى من الثناء فترضى
كن ظهيراً لأهلها ونصيرا ... وابذل النصح بعد ذلك محضا
قل لقوم على الولايات أبقى ... ظ إذا ذاقت البرية غمضا
شيمة النيل أن بنى وعجيب ... أحرجوه فضيع العهد نقضا

لم يشأ شوقى أن يلوم روزفلت أو يعتب عليه على ما تفوه به فى الخرطوم من مدح للانجليز وإطراء لهم . وذلك لأنه كان يطمع فى أن يضمه إلى جانب المصريين فرأى أن يخاطبه فى أدب جم ورفق ولين، وأن يستميله إلى ناحية مصر بالتغنى بهذه الآثار التى شاهدها روزفلت فى الصعيد، وبما تدل عليه من عبقرية ونبوغ . وشعب كهذا جدير بالتقدير والاحترام، خليق بالحرية والاستقلال

أما حافظ وغيره من الشعراء فإنهم قابلوا روزفلت بالعتاب المر واللوم الشديد والتقريع والتعنيف ، وقدموا له الأدلة والحجج على فساد آرائه وخطأ أفكاره وبعده عن جادة الحق .

أنظر إلى حافظ حين يقول :

يا نصير الضعيف مالك تطرى ... خطة القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم ... فى حماكم من دونهم ألف سور
أنت تطريهم وتثنى عليهم ... نائما آمنا وراء البحور
ليت شعرى أكنت تدعو إليهم ... يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذى بعين (نيويور ... ك) وداء مستحكما فى الصدور
يوم نادى واشنجتون قلبا ... من الغيل كل ليث هصور
يوم سجلتمو على صفحات الد ... هر تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوبا ... ونفضتم عنكم تراب القبور

إنمـــا النيل والسيسبي صنوا ن هما حليتان للعصور
وعجيب يفوز هـــذا بإطلا ق وهـــذا في ذلة الدأسور

هكذا خاطب حافظ روزفلت . والشاعر في هذه الأبيات يرسل القول من أعماق فؤاده ممتزجا بدمائه . ويقول له إنكم لم تصبروا على حكم الإنجليز ولم تطيقوا بقاءهم في بلادكم بل قمتم عليهم وأجليتموهم عن ديارکم وطاردتموهم حتى خلت منهم أقطاركم ونلتم حريتكم واستقلالكم . ثم أخذ يسائله قائلا : هل كنت تمدح الإنجليز وتقفني بفضائلهم يوم كانوا مرابطين في ثغوركم ؟ هل كنت تمدحهم يوم قاموا شنجتون يدعو إلى كفاحهم وجهادهم ؟ يوم أن كانوا قذى في عين نيويورك وغصة في حلقها ؟ لا شك في أن روزفلت لا يجيب عن هذا السؤال لأنه لم يرد خدمة الحق ؛ بل أباح له ضميره الميت أن يحكم على شعب مجيد بالذل والهوان في سبيل منفعته الخاصة .

لقد دعى الرجل إلى الخطابة في الجامعة المصرية فألقى خطبة طويلة ردد فيها آراء المحتلين في عدم صلاحية المصريين للحكم الدستوري والاستقلال ومما جاء فيها قوله « ... فإنك لا تجعل الإنسان متربياً ومتعلماً تعلماً حقيقيا بمجرد إعطائه دروساً معينة، وكذلك لا تجعل أمة صالحة لأن تحكم نفسها بنفسها بمجرد إعطائها دستوراً على الورق ؛ بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم تستغرقان أعواماً طويلة . وهكذا تربية الأمة وإعدادها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لا يتأتى في عشر سنوات أو عشرين بل يلزم لها أجيال متعاقبة . » ثم قال « ... فإن بعض الدجالين الجهلاء يزعمون أن مجرد إعطاء دستور على الورق ولا سيما إذا جعلت له مقدمة ترن ألفاظها في الآذان يجعل الأمة قادرة على الحكم الذاتي . وليس الأمر كذلك أبداً ... الخ »

ظن روزفلت أنه قادر بمثل هذه الأقوال على القضاء على الروح الوطني عند المصريين وإخماد أنفاسهم وتدمير عزائمهم فيقبلون حياة العبودية والاحتلال راضين مطمئنين . ولكن خيب الله ظنه وأخزاه فلم يفلح في ما سعى إليه بل باء بفشل عظيم. ولم يكن الشعب المصري من الغفلة والسذاجة بحيث ظن ، بل كان يقظاً حساساً . وعلى هذا فإن خطبة روزفلت أثارت حفيظة المصريين أجمعين وأشعلت في قلوبهم نيران الحقد والبغض للمستعمرين وأنصارهم . فكأن الرئيس الأمريكي والحالة هذه قد أساء إلى المحتلين وأثار في وجوههم زوبعة عنيفة . انظر إلى ما قالته صحيفة الأهرام في عدد ٣١ مارس سنة ١٩١٠ وهو « ما خطر لنا في خاطر أن المستر روزفلت يمر بهذه البلاد مرور العاصفة تترك وراءها دويا كبيراً ، أو مرور الصاعقة تهز أعصاب البلاد هزا عنيفاً . بل لم يخطر لنا بخاطر أن تكون زيارته مثاراً يثير كوامن الأقلام ومحضاً تحرك به نيران الأحقاد فنسمع بعد رحيله عنا من فرقنا كلاماً طالما أنكره العقلاء وتبرأ منه ومن إثارة زوابعه الفهماء . ولكن أبى روزفلت إلا أن يقول كلمة هاجت من الناس شجوناً وحركت سكوناً وأبرزت كامناً . . . الخ » فمن هذه الفقرة تدرك مقدار ما أثارته خطبته من آثار سيئة في النفوس .

وقد ثمر الكتاب والخطباء والشعراء للرد على الرئيس الأمريكي فامتلأت الصحف بالمقالات الطويلة في هذا الموضوع ، والظاهر أن الكتاب وجدوا فرصة للدعوة إلى الحكم الدستوري فكتبوا وأطنبوا شارحين الخطأ العظيم والضلال الكبير الذي وقع فيه روزفلت عامداً متعمداً . وهكذا ارتدت سهام المستعمرين إلى نحورهم وثبت المصريون على حقهم بل ازدادوا قوة وحماسة في المطالبة بالحكم الدستوري والاستقلال .

ولو عقل المستعمرون لما قاموا هذه الرغبة ولما وقفوا في وجه تلك النهضة ؛ ولكن شهوة الاستعمار أعمتهم وأشاتهم عن سواء السبيل . وكيف يعقل أن يسكت الشعب المصري على الذل والهوان في الوقت الذي تتمتع فيه التركية وأمم البلقان بالحرية والدستور وهم أقل من المصريين ثقافة وحضارة ؟ لقد اشتد تطلع المصريين إلى الدستور منذ اليوم الذي ظفر الأتراك به . قلنا إن الشعراء ساهموا في الحملة على روزفلت . فمن ذلك قول أحمد نسيم

سدد سهامك عند كل خطاب لست الذي ترجى ليوم مصاب
أمبشر يهدى العباد لدينه أم ضيغم مذق اللسان مخابي
برح الخفاء وبان روزفلت لنا من أبغض الأعداء لا الأحباب
برح الخفاء فلا تكونوا أمة تدمى الدخيل بعضها بالناب

إياكم أن تركنوا لزخارف ... تثنيكم عن مجلس النواب
أنى أرى الدستور يخطر بينكم ... لا تتركوه فإنه بالبـــاب

وقال آخر

روزفلت آلمت المواطف منكرا ... كرم الوفادة مرضيا إسكندرا
ما هكذا الرجل العظيم تميله ... عن مبدإ الأحرار أغراض الورى
ما أصدقوك رواية عن حالنا ... بل كان ذاك القول إفكا مفترى
هلا سبرت شعورنا من قبل ما ... تلقى الخطابة بيننا مستهترا
أنسيت تاريخاً لكم ولغيركم ... شغلت به تلك المظالم أعصرا
حكم النفوس على النفوس مصيبة ... عظمى أيدحها الرئيس مكررا
حكم ضميرك يا رئيس وبعدها ... فاحكم بما يرضاه عنك مسطرا

وقال الأستاذ على الغاياتى

لعمرك لست بالرجل الهمـام ... إذا عد الهمام من الكرام
كرام الناس أصدقهم حديثا ... وأبعد عن أكاذيب اللئام
فذلك لم تقم بالنيل إلا ... لتسمعنا أباطيل الكلام
لقد كنتم لأهل الأرض نهبا ... وكانت أرضكم أرض اغتنام
وكان الإنجليز لكم رؤوسا ... فهل رفعوا لكم هام احترام

وهكذا أفرغ الشعراء غضبهم وسخطهم على السائح الأمريكى الذى جر على نفسه ذلك التغضب . والشعر الذى قيل فى هذا الصدد شعر عاطفى صادق كل الصدق . ولم يكتف أحمد نسيم بلوم الرئيس روزفلت وتعنيفه ، بل اتجه إلى المصريين وحثهم على احتقار أقوال روزفلت وازدرائها وحرضهم على مواصلة الجهاد والكفاح فى سبيل الدستور الذى آن أوانه واقتربت ساعته كما زعم فى شعره. وهذه روح طيبة تدل على سمو صاحبها وعلى أنه لا يعرف اليأس ولا القنوط .

أما أبيات الغاياتى فإنها امتازت بالشدة والقسوة . فهى هجاء لاذع وطعن فاحش ، ولكنه لا يقاس إلى جانب طعن روزفلت فى المصريين . فهو مثلا فى قوله « ... فإن بعض الدجالين الجهلاء يزعمون أن مجرد إعطاء دستور ... الخ » عنى رجال الحزب الوطنى الذين كانوا يلحون فى طلب الدستور ليل نهار . والأستاذ الغاياتى كان وما زال من رجال الحزب الوطنى . فلا لوم عليه إذا قابل وقاحة روزفلت بما تستحق ، وجزاء سيئة سيئة مثلها.

وقال إسماعيل صبرى :

إذا سيق تبر إلى مسمع ... تمسر خالصه فى الرغام
وإن ساق روزفلت ما دونه ... إليه تنحى كلام الكرام
صدقتم وأخطأ من لم يقل ... كلام الرئيس رئيس الكلام

وقد استهجن الناس هذه الأبيات وأطلقوا ألسنتهم فى قائلها بألفاظ نابية ، فاضطر إسماعيل صبرى إلى إعادة نشرها ثم علق عليها بكلمة جاء فيها : « ... وما البيت الثالث الذى هو مظنة المدح والإطراء إلا تهكم على من يقدرون الكلام على حسب مقدار قائله . » ولكن الذى لاشك فيه أن إسماعيل صبرى لم يكن موفقاً فى هذه الأبيات .

وقد تألفت مظاهرة وسارت إلى فندق شبرد الذى نزل فيه روزفلت وأخذت تهتف ضده فاضطر إلى الرحيل عن البلاد ولما وصل إلى الإسكندرية قابلته الجماهير بالشتائم والسباب .

ومن الغريب أن الجامعة المصرية بالرغم من شعور السخط الذى سببه روزفلت بخطبته قد منحته الدكتوراه الفخرية متحدية بذلك الرأى العام مع أن مركزها لم يكن ليسمح لها بذلك . إذ لم تكن جامعة بالمعنى الصحيح ، بل كانت قاعة صغيرة لإلقاء محاضرات فى بعض المواد . وعلاوة على ذلك فإن حداثة عهدها لا تخول لها حق هذا المنح .

وقد كادت هذه الحادثة تصرف الرأى العام عن الجامعة والقائمين عليها ووجه إلى رجالها نقد عنيف وطعن شديد ؛ كما أن بعض الكتاب حثوا الجمهور على عدم التبرع للجامعة حتى تسحب درجة الدكتوراه الفخرية التى منحتها للرئيس روزفلت وكانت أول درجة فخرية منحتها تلك الجامعة الناشئة .

ولم يكتف روزفلت بما ساقه فى مصر من مطاعن فى أهلها، بل وقف فى دار البلدية بلندن وألقى خطبة ملأها بالشتائم والسباب على المصريين . فانبرى له الكاتب الإنجليزى المرحوم برنارد شو وصفعه بمقال عنيف جاء فيه « ... فلئن كان من واجبنا نحن الإنجليز أن نحكم مصر لمصلحة مصر بدون أخذ رأى أهلها المصريين كما يقول مستر روزفلت لقد كان من واجبنا العظيم أن نحكم أمريكا بنفس نصيحة مستر روزفلت . »

قلنا إن شعور الوطنى فى مصر فى ذلك الوقت كان ينذر بالانفجار عن ثورة ضد الاحتلال والمحتلين. وقد ظهر ذلك واضحاً حينما رفض المصريون أجمعون المشروع الذى عرضته شركة قناة السويس لمد أجل امتيازها .

وهذه الفترة من تاريخ مصر حافلة بقصائد الشعر السياسى الذى كانت تغذيه عاطفة ملتهبة وشعور متدفق

محمد سيد كيلانى

شعراء معاصرون مغمورون

للاستاذ الدكتور محمد كامل حسين

١ — حسن طنطاوى سليم

روى ابن خلكان فى حديثه عن ربيعة الرأى أن بكر بن عبد الله الصنعانى قال : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأى ، وكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم فى ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبناه ، وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال نعم . قلنا : أنت الذى يحدث عنك مالك ابن أنس ؟ قال نعم . قلنا : كيف خطر بك مالك وأنت لم تخطر بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم !!!

هكذا استطاع ربيعة الرأى بهذا الرد المفحم أن يسكت من جاء يؤنبه ، وكانت كلماته هذه أصدق تصوير لما عليه المجتمع فى كل العصور ، وكل البيئات ، فقد أدرك ربيعة أن العالم لا يعظم قدره إلا إذا اتصل بذى سلطان ، وأن الشاعر لا ينبه ذكره إلا إذا عاش فى كنف عظيم ، وأن الأديب لا يحمد أمره إلا إذا حظى بصحبة من بيدهم الأمر . والتاريخ يحدثنا بأنه قل أن نجد عالما قدر علمه فى حياته ، أو شاعراً سار شعره ، أو فنانا علا صيته إلا وجدنا وراءه صاحب أمر يقدمه إلى الناس ، وعندئذ فقط يلقى من الجماهير تقديراً لفنه ، وإشادة بذكره وإعجابا بمواهبه ، أما هؤلاء الذين وهبوا ملكات علمية أو فنية ولم يستطيعوا الاتصال بعظيم أو كبير فهم يعيشون منطوين على أنفسهم ، منزوين فى عقور ديارهم ، لا يشعر بهم أحد ، ولا تعرف ملكاتهم ولا تقدر مواهبهم . فمنهم من لا يقوى ملكته الفنية لأن الناس حوله لا يشعرون به ، ومنهم من يغذى مواهبه وملكاته إرضاء لنفسه دون الحاجة إلى إرضاء الناس وهؤلاء هم الذين سنتحدث عنهم محاولين أن نظهر شخصيتهم الفنية ، لأن هؤلاء أولى بالحديث عنهم لأن الفن أصيل عندهم . وهم كما قال أرسطاليس يعيشون للفن فقط ، ومن هنا كان فنهم أرفع وأرق من فن كثير ممن حظوا بشهرة واسعة ، وإعجاب عريض ، ونالوا تقدير الجمهور وإعجابه .

وأول حديث لى عن الشعراء المغمورين ، هو الحديث عن شاعر معاصر هو الأستاذ حسن طنطاوى سليم مدرس التربية بمدرسة المنيا الثانوية ، فقد سمعت منذ شهور قطعة من شعره كان يحفظها صديق زميل ، فأعجبتنى تلك المقطوعة لما فيها من شاعرية وفن أصيل ، لاحظت أن الشاعر لم يكن من المتكلفين ولا من المتعمقين ، إنما يرسل الشعر عن طبيعة فنان متمكن من فنه فى ألفاظ سهلة يسيرة ليس بها غموض ولا تعقيد ، فهو يقول فى هذه المقطوعة

رأى فى اللهو متسعا ... تخلى الزهد والورعا
وأقسم لا يرى قمرا ... بدا ، إلا به ولعا
فصار الحب مذهبه ... وعاد لغيده تبعا
وصرف الدهر شيبه ... وصير رأسه شيعا
ودق الهم أعظمه ... فما تاب ولا امتنعا
عذاب الحب شرعته ... رضينا بالذى شرعا

حقيقة أرى كثيرا من الشعراء المتقدمين تناولوا الغرض فى شعرهم ، وذكروا أمثال هذه المعانى ، ولكن الشاعر الحديث أرق من القدماء ، ولا سيما البيتين الأخيرين .

طلبت المزيد من شعر هذا المغمور ، وأردت أن أعرف شيئا من ترجمة حياته ، فكان من حظى أن ألقاه وأتحدث إليه ويتحدث إلى ، فعرفت أنه رجل عصامى حقا ، نشأ فى أسرة فقيرة ، ولكنه كافح فى الحياة ، وذاق الحلو والمر ، واضطر إلى أن يلتمس قوته فى الوقت الذى كان يهيئ نفسه فيه للحصول على الشهادات الدراسية ، يشتغل مرة كاتبا عند صائغ ، ومرة أخرى كاتبا عند محام ، ثم يحصل على كفاءة التعليم الأولى فيعين مدرسا إلزاميا ، فناظرا إلزاميا أيضا ، ولكن لم تقعد به همته عند هذه الوظائف بل درس وجد فى الدرس حتى حصل على دبلوم التجارة الليلية فى نفس السنة التى حصل فيها على شهادة تجهيزية دار العلوم ، وقد ساعدته مواهبه وملكاته على أن يحصل على هاتين الشهادتين من المنزل دون أن يتلقى العلم عن مدرس بالرغم من كده فى أعماله الأخرى التى اضطرته إليها الحياة ، واستمر فى كفاحه حتى حصل على إجازة التدريس فى دار العلوم وتقلب فى مناصب التدريس بالمدارس الابتدائية والثانوية حتى استقر به المقام فى بلده الذى نشأ فيه ، وأصبح قانعا بما وهبه الله من سعة فى الرزق . فازددت

إكبارا له وإعجابا بنشاطه وهمته ، واستمعت إلى أشعاره، فعجبت كيف يغمر مثل هذا الفن ، ويجهل مثل هذا الشاعر المكافح المجاهد فى الحياة . أنشدنى قطعة من قصيدته « معجزة القرآن الكريم » وفيها يقول :

قالت أتطرب بعد فوت أوانه ... وترى حليف البشر بعد زمانه
وأراك فى مرح الصبا وكأنما ... عاد الشباب إليك فى ريعانه
قلت اسمعى يا عز لا تتعجبى ... إنى سمعت الله فى قرآنه
والجن قد سمعت به فتعجبت ... من رشده ، وصغت إلى رحمانه
(عمر) الذى قد كان جد معاند ... للمسلمين يلج فى طغيانه
لما تلا (طه) استعاد صوابه ... وأتى الرسول يموج فى إيمانه
وأنا الأديب تلوته ووعيته ... فسجدت عجزا عند سحر بيانه

• •

(ومحمد) لم يختلقه وإنما ... مولاه يسره لنبيا بلسانه
أقله غازله وناسج برده ... والمصطفى البزاز فى دكانه
لا يبتغى أجرا على تبيانه ... فالله أجره يرحب جنانه

• • •

قد أعجز الفصحاء منذ نزوله ... حتى يصير الدهر فى أكفانه
إن كنت تنكر ذاك، فأت بسورة ... من مثله وانزل إلى ميدانه
أو فانطح الصخر الصليب فإنما ... مولاك وازنه على ميزانه

• • •

أين السفينة؟ أين بعض حطامها؟ ... يروى لنا ما كان من طوفانه
أين العصا؟ تحكى لنا بلسانها ... ما كان من فرعون أوها مانه
أوطين عيسى فيه ينفخ داعيا ... فإذا به طير على أفنانه
بل أين ناقة صالح فى شربها؟ ... ولهيب إبراهيم تحت دخانه
فنيت جميع المعجزات ولم يزل ... حيا يشير إلى الهدى ببيانه

من هذه القصيدة الجميلة ترى الشاعر يتأثر بالقرآن الكريم ، ويجرى لسانه بالحديث عن إعجاز القرآن حديث رجل امتلأ بنور الهدى والفرقان ، فاقتبس فى قصيدته بعض آيات القرآن ، وضمن قصيدته معانى آيات أخرى ، نظمها فى هذا الشعر السهل الرقيق، ثم ترى الشاعر وفق فى اختيار الألفاظ التى تلائم المعنى الذى يقصده ملاءمة تامة ولا سيما فى البيتين الرابع والخامس ، فى البيت الرابع يتحدث عن عمر قبل الإسلام فقال إن عمر كان « يلج فى طغيانه » وفى البيت الخامس يتحدث عن عمر بعد الإسلام فقال إنه « موج فى إيمانه ولمحة معى فى أن الشاعر أحسن كل الإحسان فى اختيار هذه الألفاظ التى تدل على ما يرمى إليه مع ما فيها من الموسيقى اللفظية التى تلائم المعنى . وجميل من الشاعر أن يتحدث فى آخر بيت من القصيدة عن معجزات الأنبياء وأنها فنيت وليس لها أثر الآن ، ولكن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التى لا تزال بل ستظل باقية إلى أن يشاء الله .

وشاعرنا مصرى تتمثل فيه خصائص البيئة المصرية ، وتتجلى شخصيته الفنية فى مقطوعاته الفكاهية ، ومداعباته لإخوانه ، أو حديثه عما يحيط حوله من ألوان الحياة ، والمصرى كما قال بعض النقاد - يميل إلى الفكاهة ويتذوقها ، ويقهقه لسماعها ، والأدب المصرى منذ أقدم العصور ملئ بالفكاهات الشعرية وغير الشعرية ، حتى لتعد الفكاهة ضرورة من ضرورات الحياة المصرية ، والشاعر حسن طنطاوى سليم ضرب بسهم وافر فى هذه الناحية حتى لتكاد تذهب إلى أن شعره كله فى الفكاهة بل فى المجون ، ومتى كانت الفكاهة المصرية خالية من المجون ؟ - استمع إليه وهو يداعب معالى عبد الحميد عبد الحق باشا وزير التموين سابقا إبان أزمة السكر ، وكان الشاعر أصيب بمرض البول السكرى .

قل لعبد الحق إن لاقيته ... لا تخف نقصا يصيب السكرا
إن عندى منه قدرا هائلا ... يفرق الأمصار طرا والقرى
أشرب الماء نقيا صافيا ... فإذا السكر فيه قد سرى
أبيض اللون فإن حللته ... صار فى الأنبوب شيئا أحمرا
مالكم ترجون (عبودا) وفى ... مصر من سكره يكفى الورى

أو استمع إليه وهو يصف (السويس) إبان الحرب وقد تزاحم فيها الناس ، واشتد بها الغلاء ، وتساقطت عليها القنابل ، كل ذلك فى صور متلاحقة سريعة يتلو بعضها بعضا كأننا نشاهد عرضا سينمائيا .

خرجت من السويس وفى فؤادى ... تروح مالها قط التئام
لأن بها غلاء لا يدانى ... حلا فى جبهة الموت الزؤام
وأزمة مسكن دون انفراج ... فليس بها لمغترب مقام
زحام ما رأيت له مثيلا ... تعالى أن يقال له زحام

في موكب الزكرى :

أبو القاسم الشابي

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

في توزر ، تلك البلدة الجميلة بتونس ، وفي صباح يوم من أيام عام ١٩٠٩ ، فوق فراش وثير ، وفي بيت مجد وجاه ، رزق الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابي طفلا أسماه « أبا القاسم » ، تيمنا باسم جده .

فيا ترى هل علم المهد الوثير ، والبيت الكبير ، والشيخ الوالد ، أن هذا اليوم كان يوم ميلاد شاعر عبقري ، خلقه الله ليكون شاعرا وحسب ، وأوجدته الطبيعة قطعة منها ليصوغها نغما شجيا ، وهتافا ساحرا على أوتار القلوب الحساسة والعواطف الجياشة ... حفظ أبو القاسم القرآن ، شأن كل طفل يولد في بيت إسلامي ، وبلد إسلامي في ذلك الحين ، ولما شب التحق بجامع الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر في تونس .

أخذ شاعرنا يدرس علوم العربية على نظامها البالي العتيق ، من متن وشرح وحاشية ، وسار بخطى موفقة يعززها ذكاء وقاد ، وميل طبيعي إلى القراءة والاطلاع ، حتى نال شهادة « التطويع » عام ١٩١٦م ، ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، ونال إجازتها متفوقا ، وأراد أن يتم دراسته ، فتصدى له مرض الصدر جبارا عنيدا ، قائلا : مكانك ، فمكف الفتى على علاجه ، ورجع مبتسما هادئا يتعلم في مدرسة الحياة ... ويكب على القراءة والاطلاع إكباب المنهوم على الطعام ، يقرأ في الأدب القديم باستيعاب وتفهم ويعب من نبعه الصافي ، حتى أسلست له اللغة قيادها ، وأتته طائعة مختارة ، يقبل على الأدب الحديث ، إقبال المشوق المستهام ، بذهن صاف ومزاج شاعري كأنه المرآة يميز بين الغث والسمين في سهولة ويسر ؛ وكان من نتيجة قراءته للقديم وإقباله على الحديث أن أخرج كتاب (الخيال الشعري عند العرب) وهو دراسة للأدب العربي في جميع عصوره على ضوء النقد

كأن الناس (سردين) فبعض ... على بعض - وإن كرهوا - ينام
ترى في ساحها سمكا ولكن ... على أمثالنا سمك حرام
يكاد الفول فوق السوس يجرى ... من الأطباق حتى لا يرام
كميارات يتزول عليها ... صهاريج يسيرها هام
شهدت بها ليالي كالحات ... يضيء سواد فحمتها ضرام
قنابل في شظاياها فناء ... وفي نيرانها رقص الحمام
فتلك جواؤها ، أما ثراها ... ففيران يسابقها (الترام)
جيوش في بطون الأرض تجرى ... وفي جدران أدؤرنا قيام
لبسن الليل ثوبا من سواد ... أليس الشر موطنه الظلام
تكاد على أسرتنا تناجي ... وترقد لا تخاف ولا تضام
كأن الفقر حالفها أمينا ... فبين كليهما أبدا ذمام
ذواهب آمنات راضيات ... كأن قد ضمها البيت الحرام .

ألست معي في أن فكاهات الشاعر حسن طنطاوي هي فكاهات تتمثل فيها الروح المصرية المرحة ، وأن شعره يتناسب مع البيئة المصرية اللينة الهادئة التي تميل إلى البساطة في كل شيء فإذا بألفاظ الشاعر مطبوعة بهذا الطابع المصري اللين البسيط ، وأنه يحاول أن يحلي شعره ببعض ألفاظ وتعبيرات مصرية خالصة مما يستعملها الناس في حياتهم العامة ، ولا يبالي الشاعر إذا كان هذا اللفظ عربي الأصل أو غير عربي مادامت الكلمة قد دخلت إلى لغتنا العربية واستعملها الناس وفهموا مدلولها ، شأنها في ذلك شأن آلاف الكلمات التي دخلت قواميس اللغة العربية في العصور السابقة وعرفت بأنها دخيلة ولكن الشعراء استعملوها ، وأجازها النقاد والأدباء ، فشاعرنا لم يتقيد بقيود علماء اللغة العربية ، فهو يحافظ على اللغة وسلامتها من ناحيته ، ويجدد فيها ويعيد إليها الحياة باستعمال بعض كلمات اصطلح الناس على تسميتها بالعامية ، فشأنه في ذلك شأن الشاعر البهاء زهير الذي لم يتردد في أن يكثر من استخدام التعبيرات العامية المصرية في أشعاره وإن أغضب في ذلك نحاة عصره ولكن النقاد الأدباء فتنوا بشعره ، ولا يزال النقاد إلى الآن يعجبون به ، ولنا رجعة إلى الحديث عن الشاعر مرة أخرى .

محمد كامل حسين

الحديث . ولم يتعلم أبو القاسم لغة أجنبية ، وهو بالرغم من ذلك مجدد ، بل زعيم من زعماء المجددين في العصر الحديث ... يعرف ذلك كل مطلع على شعره متذوق له ، وهي ناحيـة من نواحي عبقرية شاعرنا المجيد .

وكان أبو القاسم مغرما بأدب المهجر ؛ وبخاصة مدرسة جبران خليل جبران ؛ ومع ذلك فقد كان رحمه الله نسيج وحده منفردا بمدرسته .

... ولقد اشتدت عليـه وطأة المرض حتى طواه الردى في فجر يوم ٩ أكتوبر سنـة ١٩٣٤ ولـما يتجاوز الخامسة والعشرين بعد .

كان أبو القاسم — رحمه الله — شاعر طبع رقيق ، وعاطفة متقدة ، وإحساس نبيل ، أذاقه المرض من ويلات الحياة الكثير ، وقد ظهر أثر ذلك في شعره جليا فكنت تحس فيـه الألم العميق العبقري ، والشكوى المريرة التي قنعها بقناع جميل من خياله الفسيح ، فسمى قصائده : قلب الأم . وألحاني السكرى ، والجنـة الضائعة ... إلخ وغير ذلك مما يدفع القارئ أن يظن لأول وهـلة أنه إنما كتبها وصفا لغيره ، وما هو في الحقيقة إلا وصف عميق لأغوار نفسه الكبيرة .

ولأبي القاسم أكثر من ناحية في شعره ، فهو تارة فيلسوف ساخر ، وأخرى ثائر جبار ، وثالثة يائس مستسلم ، كل ذلك يعبر عنه في همس شاعري رقيق ، وأداء نفسي جذاب ، وتصوير فني ممتاز ؛ فأبو القاسم الفيلسوف الساخر الذي يقول :

لست يا أمي أبكيك لمجد أو لجاه
سلبته مني الدنيا ، وبزتني رداه
فأنا أحتقر المجد وأوهام الحياه

هو نفسه أبو القاسم الثائر الجبار الذي يقول في « نشيد الجبار »

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس الكئيبة هازئا بالسحب والأمطار والأنواء
وأقول للجمع الذين تجشموا هدمي وودوا لو يخر بنائي
ورأوا على الأشواك ظلي هامدا فتوهموا أني قضيت زمائي:
إن المعاول لا تهد مناكبي والنار لا تأتي على الأعضاء

وهو نفسه أبو القاسم اليائس المستسلم الذي يقول في قصيدته « في ظل وادي الموت » .

قد رتعنا مع الحياة طويلا وشدونا مع الطيور سنينا
وعدونا مع الليالي حفاة في شعاب الزمان حتى دمينا
وأكلنا التراب حتى ملأنا وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا . أهذا ما صرت في الدنيا بعيدا عن لهوها وغناها
في ظلام الفنـاء أدفن أبا يي ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوى بصمت محزن مضجر على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا كي فهيا نجوب الموت هيا

أو يقول في قصيدته « ألحاني السكرى » معبرا عن حبـه العميق للحياة :

أيها الدهر ! أيهـا الزمن الجا ري إلى غير وجهة وقرار
أيها الكون ! أيها الفلك الدوار بالفجر والضحى والنهار
أيها الموت ! أيها القدر الأعـ ـمى قفوا حيث أنتم وأوقفوا وسيروا
ودعونا هنا نغني لنا الأحـ ـلام والحب والوجود الكبير

ولكنه يشعر بقلبـه الكبير أن الدهر ، والزمن ، والكون ، والموت لن يتركوه تغني له الأحلام والحب والوجود الكبير فيستدرك استدراك الحس الرقيق :

وإذا ما أبيتمو فاحـ ـلونا ولهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر وبالسحر والصبا في يدينا

حقا ! إن كل إنسان محب للحياة ... ولكن هناك تفاوت في سمو الحب بمقدار تفاوت النفوس البشرية ... ! وأبو القاسم صاحب نفس رقيقة نبيلة يحب الحياة في أرق شيء فيها وأنبله ، إنه يحبها في الحب نفسه ، فيود أن يموت وعلى شفتيـه لهيب الغرام ، وزهور الحياة والصبا في يديه . ولأبي القاسم ولع بالطبيعة فنفسه الشاعرية مرآة صافيـة رهيفـة سواء في (توزر) أو في (عين دراهم) بيئة طبيعية الجمال ، فلا عجب إذا انعكست صورها في مرآة نفسـه ، فاستمد تشبيهاته منها وصورها لنا تصويرا خليقا بالإعجاب في جل شعره إن لم يكن في كله ... !

يقول في قصيدته (صلوات في هيكل الحب) .

عذبة أنت كالطفولة كالأحـ ـلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمـ ـراء كالورد كابتسام الوليـد

ويقول فيها : —

في فؤادي الرحيب تخلق أكو ... ان من السحر ذات حسن فريد
وشموس وضاءة ونجوم ... تنثر النور في فضاء مديد

ويقول في قصيدته « قلب الأم » .

يصغي انغمتك الجميلة في خرير الساقيه
في أنة المزمار في الغـــو الطيور الشاديه
في ضجة البحر المجلجل في هدير العاصفه
في لجة الغابات في صوت الرعود القاصفه
في فتنة الشفق الوديع وفي النجوم الباسمه
في رقة الفجر البديع وفي الليالي الحالمه
في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم
في سحر أزهار الربيع ، وفي تهاويل الغيوم
في مشهد الشاب المجرد والورود الهاويه
في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف العاريه

وهكذا ... هكذا ، صور وتشبيهات خلابة ، استمدها من الطبيعة ، وأضفى عليها من روحه الحية الكثير ، مما يحمل القارئ على الظن بأن هذا اللون من الشعر جديد في بابه ، رغم من إيغاله في القدم .

ووحدة القصيد من الميزات الواضحة في شعر أبي القاسم ؛ فلا يكاد القارئ يحس ، من مطلع القصيدة إلى ختامها ، لنشاز بيت واحد أو نبوه أثرا . وهو مجدد في تعبيراته فضلا عن أفكاره ، ألمس ذلك في كل شعره ، وأحسه كلما أقبلت عليه أقرأه في أي موضوع كان .

يقول في قصيدته « يا شعر » واصفاً الموت :

يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس ، والدجى طيف رحيم

ويقول فيها أيضا :

أرأيت أزهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها

ويقول في « صلوات في هيكل الحب » .

وحياة شعرية هي عندي ... صورة من حياة أهل الخلود

أو يقول في (الجنة الضائعة) .

لا نبالي اللهو البرىء وليس يدركنا الفتور
فكأنا نحيا بأعصاب من المرح المثير

فأجنحة السكون ، وصدر التراب ، والحياة الشعرية ، والأعصاب التي هي من المرح المثير ... كل تلك التعبيرات الرقيقة في ألفاظها ، تحمل ما تحمل من عمق الفكرة وسمو الأداء .

وشعر المناسبات عند أبي القاسم قليل إن لم يكن معدوما ، بيد أن له في الوطنية شعرا رقيقا قويا .

ومن أقوى ما قال في شعره الوطني قصيدة « ليتني » المنشورة بالعددين (٧٠ ، ٦٦٤ من الرسالة) التي يقول في مطلعها :

أيها الشعب ليتني كنت حطابا ... فأهوي على الجذوع بفأسي

ومن شعره القوي في هذا الموضوع قصيدته التي يقول فيها : —

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ... ولا بد للقيد أن ينكسر

أما بعد : فما قصدنا بكلمتنا إلا إشارة عابرة إلى تلك العظمة في عالمها النوراني الساحر ؛ وعلى كل حال فأفضل من عجز المحيط طاقة المشير .

وإنا لنتجه بمناسبة هذه الذكرى إلى أدباء العربية قاطبة في جميع بلدانها من مصر إلى المهجر الأمريكي ، ومن فلسطين إلى تونس آملين أن يقوموا بواجبهم إزاء هذا الشاعر الشاب الذي هوى من علياء سمائه وهو لا يزال في ميعة العمر ، وريق الشباب ، فيخرجوا للحياة « من أغاني الحياة » لتأخذ طريقها إلى المكان اللائق بها في المكتبة العربية الحديثة .

ألا رحم الله تلك الروح ، وضمها إلى أفيائه وفي ظلال جناته ، وجزاها على ما قدمت لأمتها خير الجزاء .

رجاء عبد الوهاب النقاش

الراجع : ١ — شعر أبي القاسم في مجلات أبولو ، الرسالة ، الثقافة ، الإمام .
٢ — العدد الأخير من مجلة « أبولو » .
٣ — العدد (٧٠) من الرسالة .

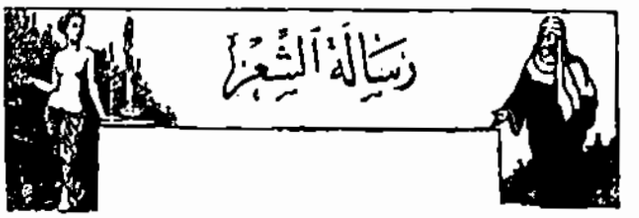

رقدة الملاح

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

« نظم الشاعر هذه القصيدة لتلقى فى حفلة التأبين الكبرى التى أقيمت لصديقه الشاعر الخالد على محمود طه بمدينة المنصورة منذ شهور .. وحال بينه المرض وبين السفر إلى هناك ليلقى قصيدته فطويت إلى حين، إلى موعد هذه الذكرى الغالية التى يحييها بأنانه وأياته! »

لم يبق لى فى طريق العمر أحباب ... خلا الطريق وأحباب الرؤى غابوا

كانوا خيالا، وكان العيش حلم كرى ... مضى به قدر للعمر مرتاب

لم أنس آخر لقيانا وقد دمعت ... شمس الأصيل، ورقت منه أطياب

وأنت فى حيرة كان الشفاء بها ... وهما، وخلف صراع الطب وثاب

كدمعة فى جفون العين بارقة ... حتى يحين لها فى الخد انسكاب

روح تشف عن الأحلام حائرة ... والجسم قد شفه سقم وأوصاب

ترنو إلى الأفق الدامى فتحسبه ... فتى من الحزن قد خانته أعصاب

تقضى لياليك بعد الأنس منفرداً ... لم يهو ساحك خلان وأتراب

سأمان ترقب أياما مغربة ... كما تحول نحو الغرب جواب

كحانة فى ظلام الليل نائية ... جفت على صدرها المهجور أنخاب

فى عزلة لم يقصر ليلها سمر ... ولم تكشف دجاها الجهم أكواب

قد لفها الصمت إلا بعض همهمة ... كما تهمهم فى ظلمائها الغاب

قاسيتها بجفنة ما كاد غاشمها ... ينزاح عن كتف العانى وينجاب

حتى تحطم فى استهضامه أمل ... وانهار فى مثل لمح الطرف أطناب

كان اللقاء وداعا، والحديث صدى ... من عالم الغيب لم تدركه ألباب

نشكو جراحاتنا والدمع يحبسه ... عن أن يسيل أبى النفس غلاب

ترجو ونأمل والأقدار ترقبنا ... والموت يحجبه عن وهمنا الباب

يا مرسل النغم العالى صدى ورؤى ... ينصب فى أذن الدنيا وينساب

غنت به ضفتا الوادى ورجمه ... من ألسن الشرق أشهاد وغياب

أضعت عمرك فى الأوهام تجرعها ... كأس امزاج طلاها الشهد والصاب

ما الزهر والخمر فيها غير سائدة ... ألقى عليها ظلال الحزن مرتاب

ظننتها أنت جنات منضرة ... وهى الخرائب فيها اليوم نعاب

خدعت فيها بألوان مزيفة ... وسوف تخدع أجيال وأعقاب

طوت بحاليك واعتالت مشاهدها ... كطائر الأيك قد أعياه نشاب

فنمت والحلم الزاهى على مقل ... غشى عليها ظلال النور إضباب

ومت والنغمة الكبرى على شفة ... لما يتح لصداها المذب إعراب ...

• • •

الليل معتكر، والموج صخاب ... وزورق الحلم فى الهوجاء هياب

ملاحه بعد طول التيه قد عقدت ... أجفانه سنة أطيافها آبوا

موسد لم يزعزح جنبه ألم ... ولم يسهده إضناء وإتعاب

ألقى المجاديف وهنى والشراع لقى ... يطويه من سطوات الريح جذاب

كم صارع الموج جياشاً ومضطرباً ... ولم يزعزعه إعصار وإرهاب

منقباً عن جمال الكون تفتنه ... جداول وخميلات وأعشاب

وفتنة من جفون الغيد تشرعها ... إلى القلوت هوى منهن أهداب

والحسن ينبوع فن ظل يقصده ... من عالم الشعر وراد وشراب

أوحى الخوالد فى الدنيا إلى نفر ... تفتحت لهمو فى الخلد أبواب

• • •

رسام سحر الجمالى، أين ريشته ... يفوح منها على القرطاس أطياب؟

كم لوحة من مرائيه منمقة ... فيها من اللمحات الغر خلاب!

قد عطل الموت فنا خالصاً غنيت ... به على كرة الأجيال آداب

حملت والصفوة الأحرار ألوية ... خفاقة تتحدى كل من عابوا

للفن ما اهتز من آمالهم وربا ... والفن مذبح قربان ومحراب

تبتلت فى جلال الفن أنفسهم ... كما تبتل فى المحراب أواب

كل له غاية بسعى ليدركها ... وكم تحقق غايات وآراب ... !

تشاءم القوم حيناً وادعوا خرصاً ... أن القريض ثوى إذمات أقطاب

وأن دولة هذا الفن قد ذهبت ... والشعر لم يتوقف منه دولاب

والشعر مصبح أرواح مجنحة ... إن غاب سرب تبدت فيه أسراب

• • •

إن لم تقم لبناة الفكر أنصاب ... فقد أقيمت لهم فى الفكر أنصاب

وحسبهم من خلود الأرض أنهمو ... لها إلى جنة الفردوس أسباب

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

برنارد شو في الميزان :

الذين يعرفون « شو » على حقيقته ، يعرفونه من وراء هذه « اللافتات » الضخمة التي تكشف عن جوانبه وتشير إليه : لافتة العقل الساخر ، ولافتة القلب الشاعر ؛ ولافتة الكبرياء النفسية ، ولافتة الطاقة الفنية . . وليست هي باللافتات التي تعلو إنتاج غيره من الكتاب فتلفت منك النظر دون أن تدفعك إلى إطالة الوقوف ، ولكنها اللافتات « المضيئة » التي تجذب نظرك وفكرك ، وتختبر أشعتها على القرب والبعد فلا يخبو لها بريق. وبهذه اللافتات « المضيئة » كما قلت لك ، استطاع برنارد شو أن « يبصر » مواضع قدميه في طريق الفن . . وطريق الحياة !

والسخرية في حياة « شو » هي ألمع اللافتات جميعاً ، بل هي الإطار الطبيعي الذي يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة وهي في فنه نقطة الارتكاز التي يلتقي عندها خط الاتجاه النفسي الممتد هنا وخط الاتجاه الفكري المنطلق من هناك . . وهي في حياته وفنه مما ذلك المعبر العظيم لإنسانية القلب وكبرياء النفس وأصالة الموهبة . وتضغط أنت على « زر » نفسي واحد لترسل التيار الكهربائي إلى هذه اللافتة الكبرى لتصبح « مضيئة » ، وتفسر على « ضوئها » ما تحمل اللافتات الأخرى من « ألوان » نفسية . . ما هو هذا الزر النفسي الذي يضيء لافتة السخرية عند « شو » ، أو ما هو « مفتاح النور » لهذه الملكة الفذة التي غطت على غيرها من الملكات ؟ إنه السخط . . السخط المتأصل في أعماق النفس منذ القدم على بعض القيود والأوضاع !

هذه الملكة النادرة عند هذا الكاتب العظيم ، أنبتتها « الوراثة » وأنضجتها التجربة ، وتولتها الموهبة بالعرض والتقديم . . لقد ولد في مهد العاقة فسخط ، وشب في أحضان النبوغ فسخط ، وتنفس في جو القيود فسخط ، وبدأت حياته واتهت وهي سلسلة من السخط المدثر بأثواب السخرية ! لقد سخط على الأغنياء لأنه تذوق طعم الفقر . وسخط على الاستعمار لأنه نشأ حر الفكر ، وسخط على العاجزين لأنه شجاع يؤثر الغلبة والاقتحام . . ثم أفرغ هذه الطاقة الساخطة في ذلك القالب الساخر ؛ الساخر من شتى المثل والقيم والتقاليد !

لقد كان السخط هو المنبع الأصيل الذي انبثقت منه سخرية « شو » ، لتنال برشاشها اللاذع كل ما يدخل في دائرة عقلية من مظاهر الإنكار . . وما هي السخرية على التحقيق إذا لم ترتدها إلى أصولها النفسية من السخط الثائر على أمر من الأمور ؟ إنك لا تسخر من وضع في الحياة إلا إذا كنت ساخطا عليه ، لأن السخرية في جوهرها ما هي إلا اتجاه عقلي إلى الحط من قيمة هذا الوضع ، والتعرض له بفنون من الهدم والتجريح ! والسخط لون

هم رفعوا عن أساها وهي عابسة ... لهم ، وتدنضروها وهي مجداب

هم الألى وهبوها حلى زينتها ... وكم بحارب منها ووهاب !

إن نادموا الليل فيها ، قال قائلها: ... بنو خيال لكأس الوهم طلاب !.

حقائق الأرض ما أوحى خيالهمو ... قد صبها في اختيار العلم أحقاب

عاشوا بها غرباء الروح تلمحهم ... هالات نور عليها الليل جلباب

مروا خيالا ، وكانوا في دجنتها ... كواكب النور لما ضوأوا ذابوا ...

• • •

(علي!) كان غروب الشمس موعدنا ... يوم الخميس؛ فمالي منه أوتاب!؟

أطارد الوهم عن نفسي وبي وجل ... كما يطارد وحش الغاب هياب

حتى تلقيت هول النعي فانتثرت ... خواطري في ظلام الحزن تجتاب

لم يبق منعاك لي جهداً أفيك به ... حق الرثاء ودمع العين منساب

ما أعجب القدر الـلاهي بعالمنا ... إذا تبسم أبدى الشرة الناب !

إن فرق الموت جسمينا فإن لنا ... في عالم الروح لقيا ليس تنجاب

محمد فاضل الصرفي

من ألوان الثورة بلا جدال ، ولكنه عند « شو » ثورة عقله المهذبة ، هدفها التحطيم بالقلم واللسان بومادتها السخرية التي تؤثر الهدم بالقول الجارح وتفعل بالظهور مالا تفعل السياط ..هو ساخر في حياته وساخر في فنه ، وبهذه السخرية القادرة نظر إلى الحياة والفن من زواياه الخاصة ، وسلط عليهما أضواءه الخاصة، واختلف مع كل المصورين في لقطاته البصرية والنفسية !

ولم تكن سخرية « شو » هي سخرية العاجز حين يشكو النقص فيتندر على القادرين ، ولكنها سخرية المشرف على الدنيا من فوق قمة عالية ، تريه الأشياء صغيرة مسرفة في الصغر ضئيلة مغرقة في الضآلة . ومن هنا امتزجت السخرية في دمه بالكبرياء، سخرية العقل بكبرياء النفس ، ثم انصهر هذا المزيج العجيب في بوتقة الحياة فنشأت عنه هذه النزعة الإنسانية التي تتسم بالعطف على الشعوب الفقيرة والمحتلة على حد سواء . إنها نبضات القلب الكبير ، القلب الذي نقلب يوماً على أشواك الفقر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق « الاشتراكية » ، وناء يوماً بثقل القيد فوجه قلم صاحبه إلى مهاجمة الاستعمار !

ولابد من التفرقة بين التهكم والسخرية وبين المرح والدعابة في حياة الموهوبين ، أعني لابد من هذه التفرقة بين كاتب مثل برنارد شو وبين كاتب آخر مثل مارك توين . . إن « الطريقة » عند « شو » أساسها الطبيعة الساخطة المتركزة على أطراف كلمة ساخرة ، هدفها رفع القناع عن وجه مشوه من وجوه الحياة . ولكن أساسها عند مارك توين هو الطبيعة المرحة التي تنشد المزاح لغرض بريء ، وهدفها أن الفكاهة قد « حبكت » فلا مفر من تسجيلها ليضحك هو ويشرك معه الناس ! ولكي نوضح الفارق بين الطبيعتين نقتصر هنا على نادرتين من حياة هذا وذاك على سبيل الموازنة بين الدعابة والسخرية : أما النادرة الأولى فتصور لنا مارك توين سائراً في أحد شوارع نيويورك مع نفر من أصحابه ، حين تقدم إليه أحد مشوهي الحرب ليهمس في أذنه: سيدي ، هل تتصدق على رجل (فقد) ساقيه ؟ وينظر إليه الكاتب « المرح » متظاهراً بالدهشة وهو يقول : عجيب ! كيف لم تعلن في الصحف عن هذه الأشياء المفقودة !؟ . ويغرق هو في الضحك ويغرق معه أصحابه ، ويبتسم الرجل معجباً بالدعابة ثم يمد يده ليأخذ من مارك توين نفحة مالية كأجر للاعلان ! ! أما النادرة الثانية فتصور لنا برنارد شو في أحد مسارح لندن ، يرقب من مقصورته عرض إحدى مسرحياته الناجحة ، ويصغي في ختام العرض إلى هتاف بعض أبناء وطنه : تحيا ايرلندة . . وحين يتناهى إلى سمعه هتاف آخر ينطلق من بعض الحناجر الإنجليزية : تحيا جهنم . . يقف الكاتب « الساخر » ليعقب على الأصوات المتنافرة بقوله : أيها السادة ، لا يسعني إلا أن أحيي الفريقين ، لأن كليهما يهتف لوطنه ! ! . . ويذهل الخصوم لأن الصفعة القاسية قد وقعت على غير ترقب وانتظار .

أرأيت إلى الفارق بين الداعبة البريئة وبين السخرية اللاذعة؟ إن مارك توين هناك يريد أن يداعب وأن يضحك وأن يمزح ، ولكن برنارد شو هنا يريد أن يغمز وأن يلمز وأن يجرح ! وهي بعد ذلك سخرية موشحة بالترفع ملفعة بالكبرياء.. ومن مظاهر الكبرياء في حياة « شو » أن يهاجم التقاليد الإنجليزية في كل مناسبة تدعوه إلى الهجوم ، ويسخر من المثل الانجليزية في كل فرصة تهيء له أسباب السخرية ، في الوقت الذي كانت فيه أيرلنده وطنه الأول ، تئن تحت ضغط الاستعمار البريطاني .. ثم لا يقف بكبريائه عند هذا الحد المقبول ولكنه يندفع بها إلى ما وراء المعقول فيمتدح الشيوعية الروسية وينعت قطبها الأكبر « ستالين » .. بأنه خير الناس! ترى هل كان « شو » يؤمن بهذا الذي يجهر به أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الشعب البريطاني خاصة هو الذي كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد؟ الحق أنه السخط من جهة والإيمان بالرأي من جهة أخرى .. وليس هناك شيء من العجب إذا ما أحدثت كلمات « شو » في نفوس البريطانيين أثرها العميق ، لأن هذا الكاتب الساخر يخفض من كل مالهم في الحياة من مثل ويرفع من كل مالهم في الحياة من خصوم ، ويبعث التاريخ من مرقده حين يعيد إلى أذهانهم قصة قديمة ، قصة « بايرون » شاعرهم الطريد ، يوم أن خلد عدو الإمبراطورية في عدد من قصائده المحلقة في « تشايلد هارولد » لقد أعجب بايرون بنابليون وأعجب شو بستالين ، وفر الأول

من سخط الشعب البريطاني بعد أن شيعه الرجال باللعنات وودعته النساء بالبصقات . . ومات وهو الانجليزي — فوق أرض يونانية ! وصمد الأخير في وجه هذا السخط لأنه كان أقدر القادرين على الصمود . . ومات — وهو الايرلندي — فوق أرض انجليزية !!

ومن العجيب أن يفقد « بايرون » عطف الشعب الانجليزي — واحترامه ويخرج من بلاده وهو منبوذ طريد ، وأن يحظى « شو » باحترام هذا الشعب ويعيش بين أبنائه وهو محبوب الجانب مرفوع المقام . . ويبطل العجب حين تفسر هذه الظاهرة على هدى هذه الحقيقة النفسية ؛ الحقيقة التي تقول لك على لسان « سلم الخاسر » في بيت واحد من الشعر كأنما كان يعني « بايرون » بشطره الأول ويقصد « شو » بشطره الأخير :

من راقب الناس مات غما . . وفاز باللذة الجسور ! !

هذه هي اللافتات المضيئة في حياة « شو » : لافتة العقل الساخر ، ولافتة القلب الشاعر ، ولافتة الكبرياء النفسية . وتبقى بعد ذلك هذه اللافتة الأخيرة ، لافتة الفكر في الكاتب المفكر أو لافتة الفن في الكاتب الفنان . —

هل هو فيلسوف حقاً كما يذهب إلى خلع هذه التسمية عليه كثير من الكتاب ؟ إن لبرنارد شو آراءه القيمة وأفكاره الناضجة بلا جدال ، له هذه الآراء والأفكار في محيط السياسة والمجتمع والاقتصاد والأخلاق ، وطالما تعرض لهذه الشؤون المعقدة في عصره بالنقد والتعليق والتوجيه ، يصبها في أسلوبه الساخر اللاذع الهدام الذي يحاول أن يقيم بناءه الخاص على وكام الأنقاض ... ومن هنا يتحدث الكتاب عن فلسفته السياسية — والاقتصادية والخلقية والاجتماعية إلى آخر ما يضيفون إليه من فلسفات !

أما أن « شو » كان مصلحاً اجتماعياً فأمر لا يجادل فيه ولا يختلف عليه ، فهو من هذه الناحية صاحب رسالة يؤديها على الوجه الأكمل ويقف في سبيل الذود عنها موقف كل مؤمن راسخ العقيدة برسالته قوي الإيمان . ولك أن تعده في الطليعة من أصحاب الرأي في عصره ، حين يكون للرأي قيمته في عرض ما يزخر به العصر من ألوان المشكلات . كل هذا حق يعترف به المنصفون حين يضعون الرجل في كفة المواهب الفكرية والإنسانية ؛ ولكنه على مدار هذا كله كاتب مفكر وليس بفيلسوف . . إن كل فيلسوف يجب أن يسلك في عداد المفكرين وليس من الحتم أن يسلك كل مفكر في عداد الفلاسفة ! هذا إذا حددنا الفلسفة بأنها « المذهب » الفكري الكامل في ناحية من نواحي الحياة ، المذهب الذي تتكون منه الأصول والفروع وتتولد عنه البحوث والأفكار ، وتقام عليه القواعد والنظريات وتحدد له الأهداف والغايات . . فإذا أمكن بعد هذا « التحديد » أن نساير بعض الكتاب حين ينسب « الفلسفة » إلى برنارد شو أمكن أن نجاري البعض الآخر حين يلصق « الفلسفة » بأبي العلاء ! !

ونعرج بعد هذا على الكاتب المسرحي الذي قدم للمسرح من الأعمال الفنية ما يربى على الخمسين . . ما هي قيمته في رأي الفن وميزان النقد ؟ أما أنه يفهم الأصول الفنية الكاملة لكتابة المسرحية الحديثة فأمر لا يجادل فيه أيضاً ولا يختلف عليه ، وحسبه في ذلك أنه تلميذ مخلص لعميد الأدب المسرحي الحديث « هنريك إبسن » ! لقد أخذ « شو » عن « إبسن » وتأثر به وتتلمذ عليه ، حتى أصبح النقاد لا يذكرون اسم هذا إلا مقترناً باسم ذاك ، لما بين الإسمين من صلات الفن وقرابة الروح . . كل ما يأخذه النقد على « شو » أنه سخر فنه المسرحي لخدمة آرائه الخاصة ونقل أفكاره الخاصة ؛ تلك التي تدور حول فهمه الخاص لمشكلات العصر وما فيها من قيم لا يرضى عنها وعادات ومعنى هذا أن الواقعية في مسرحيات الكاتب الأيرلندي واقعية لا يقبلها منطق الحياة في بعض الأحيان ، لأن منطق الحياة هو منطق المجتمع العام في كل ما هو معروف ومألوف من المثل والأوضاع !

هذه كلمة لا تعطيك صورة كاملة لشخصية « شو » كما هي في واقع الفن وواقع الحياة ، ولكنها تقدم إليك المفاتيح الصادقة لهذه الشخصية لتعالج بها ما شئت من أبواب . . وبخاصة وقد أصبح الرجل العظيم في ضيافة الخلود ! !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

ذكرى علي محمود طه:

كانت الذكرى الأولى لوفاة المغفور له الأستاذ علي محمود طه في هذا الأسبوع، فقد توفي — رحمه الله — يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٩. وها قد مضى عام ولم تبرح ذكراه نفوسنا، ولا يزال حر اللوعة على فقده يضطرم في أفئدتنا. وكيف ينسى «علي» وقد كان صادق الود وباعث الأنس؟ كيف ينسى مالأ دنيا الناس بأشعاره وممطر الأرجاء بفنه وظرفه؟ لن ينسى علي طه ما بقيت خوالد شعره، وما بقي الأحياء الذين ترك في نفوسهم أجل الآثار وأطيب الذكريات.

لقد كان علي طه أحد القلائل الذين يجتذبون الناس إلى قراءة الشعر في هذا العصر. كان إذا فرد لنفسه أطرب، يصور الحب والجمال فتهفو النفوس إلى قوله، إذ تجد فيه أجمل مما يصوره.. تجد فيه جمال الفن وروح الشاعر الصافي؛ وكان إذا شارك قومه أعجب، شاعر يرنو إلى أهداف الجماعة، ويخفق قلبه بحب الخير وهو في هذا أيضاً ينشد الحب والجمال، فالخير جميل، وحبه حب...

سلام عليك يا شاعر الحب والجمال، سلام على روحك أيها الفقيد الصديق، سلام عليك كلما تفقدناك فأوحشتنا طلعتك، سلام عليك كلما حزب أمر أو دعا داعي الوفاء، سلام عليك كلما تطلع عشاق الشعر إلى السحر والفتون.

سلام عليك أيها اللاح الثائه، بل سلام عليك وقد وصلت إلى الشاطئ المجهول.

سلام عليك أيها الحلم الذي رأيناه، ولا نزال نتفق ليتصل...

هنالك وهنا:

تلقى الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولي أمين مكتبة نقابة الصحفيين الكتاب التالي من إدارة الأنباء بالسفارة الأمريكية في القاهرة:

«نتشرف بإبلاغ حضرتكم أننا تلقينا طلباً من أحد المؤلفين الأمريكيين يشتغل الآن بوضع كتاب جديد بجامعة رانجرز عنوانه (دراسات توماس مان في خمسين عاماً من سنة ١٩٠١ إلى ١٩٥٠) ويعتقد المؤلف أن توماس مان زار مصر منذ أكثر من عشرين عاماً مضت، ويذهب إلى أن الصحف لابد قد نشرت عنه بعض المقالات في ذلك الوقت، وظهر تبعاً لذلك كثير من الأبحاث التي تناولت ترجمة حياته أو نقد أعماله، سواء كان ذلك في كتب أو نشرات أو مقالات في الصحف أو المجلات أو غيرها. ويود المؤلف المذكور الحصول على أسماء مؤلفي هذه الأبحاث وعنوانات المقالات التي نشرت وأرقام أعداد الصحف التي نشرتها وأسماءها ومكان وتاريخ نشرها. ويكون من دواعي امتناننا لو تكرمتم بإحالة هذا الطلب إلى الإدارة المختصة في مكتبتكم لمراجعة الفهارس والسجلات التي تكشف عن البيانات المطلوبة. ونحن إذ نقدر لكم هذه المعاونة الكريمة، نود أن نؤكد لحضرتكم امتنان المؤلف لمساعدتكم له، ونرجو أن تتفضلوا بقبول وافر الاحترام»

أعجبتني هذه الروح العظيمة، وأشفقت ألا تصل هذه المعلومات إلى طالبها، فقد لا يتيسر لمكتبة النقابة — وإن كان الأستاذ الإسلامبولي أبدى استعداداً وتحمساً للمعاونة — أن توافي بكل المطلوب، ولابد أنه قد أرسلت هذه الرسالة إلى هيئات أخرى في مصر كدار الكتب المصرية، وأشفقت أيضاً أن (تندشت) هذه الرسالة في المكاتب الحكومية التي يستطاب فيها الكسل والنوم — فأحببت أن أنشرها هنا، رجاء أن يهتم بها من يستطيع الإجابة عنها، فيسد عنا ثغرات...

وخطر لي هذا السؤال: ترى ماذا يحدث إذا طلب مؤلف مصري مثل هذا الطلب من إحدى السفارات المصرية؟ ولست أدري أي شيطان جعلني أتخيل الجواب على الوجه التالي: تحول السفارة الطلب إلى وزارة الخارجية، وهذه تحوله إلى وزارة الداخلية، وهذه تحوله إلى قسم البوليس التابع له المؤلف.. ويستدعى المؤلف إلى القسم، ويفتح له «محضر» يسأل فيه عن

اسمه وصناعته وسنه وعمل إقامته وشيخ حارته ... الخ، ثم يسأل: كيف تجرؤ وأنت من «الأهالى» على أن تكلف جهة «أميرية» بمثل هذا الكلام الفارغ.. وأخيراً يفرج عنه بضمانة شيخ الحارة ...

المطلوب تصحيح أوضاع:

ليست هى الأوضاع الدستورية التى يتحدث عنها المعارضون السياسيون والتى ضمنوها عريضتهم المعروفة، وإنما هى كما ترى فى الرسالة الآتية:

... وبعد فإنا نتوسل إليكم سيدى — وأنت الذى لم ترد لنا رجاء — أن تتكرم بإفادتنا عن الحكم فى هذه المشكلة أو (التقليعة) الجديدة التى تفتقت عنها العبقرية الأزهرية فى عصر النور.

ليست هذه المشكلة هى بناء المدينة الأزهرية وسط المقابر والتلال اولا فى إحجام الشيوخ عن إخراج العلم للناس فى ثوب قشيب اولا فى عدم مساعدة الطلاب صحيا أو اجتماعيا أو خلقيا!! لا يا سيدى، ليست مشكلتنا اليوم من هذه الأنواع فالكلام فى هذا، بعد فى عرف كثير من شيوخنا، خروجاً على المقيدة.. وقد يشطب الطالب من كليته لمثل هذا..

وإنما مشكلتنا بسيطة للغاية ومعقدة للغاية، وهذا ما دعانا إلى الالتجاء إليكم. أنشئت كلية الشريعة فى «خرائب الدراسة» ومع أن الشرائط الصحية، لا تتوافر فى كثير من فصولها، تجد أمراً عجبا.. تجد أن الألواح السوداء، وأعنى «السبورات» موضوعة خلف الطلاب!!

ورجونا المختصين كثيراً لتصحيح هذا الوضع، وجعلها أمام الطلاب؟ ولكن لأمر لا نعلمه، تصر إدارة الكلية على هذا الوضع الشاذ! وليس بعسير على سيدى، أن يتصور حالة الطلاب، حينما يريدون أن يتتبعوا شرح المدرس لمسألة ما، فى السبورة، ويلووا أعناقهم إلى الوراء!!

لا أدرى أهذا منظر مضحك، أم محنق، ولكن الذى أدريه أن إلحاحنا لجعل هذه الألواح أمامنا، باء بالفشل. وكثيراً ما سمعنا من بعضهم أنهم كانوا يتلقون العلم — وهم على الحصر — فلا يشكون! أما نحن طلاب اليوم..؟

..وانتهينا إلى هذا الحد..

كشكول الأسبوع

□ تدل الأنباء الواردة من مدريد على الحفاوة البالغة التى يقابل بها معالى الدكتور طه حسين فى إسبانيا، ومن هذه الأنباء أن معاليه عين مدرساً إسبانيا لتعليم اللغة الإسبانية للطلبة المصريين فى معهد فاروق للدراسات الإسلامية، وسوف تنظم دروس عربية فى المعهد للاسبانيين الذين يرغبون فى تعلم اللغة العربية.

□ خطب وزير المعارف الإسبانية فى حفلة افتتاح معهد فاروق بمدريد، فقال إن بلاده تهتم بالأدب العربى كل الاهتمام

□ كانت جريدة المصرى قد نظمت مسابقة دراسية فى موضوع «موقفنا من العروبة» وقد نال الجائزة الأولى فى هذه المسابقة الأستاذ مختار الوكيل، ببحث قيم عنوانه «عبء العروبة ثقيل ولكنه يتناسب ومكانة مصر بين أقطارها».

□ قال الأستاذ مختار فى ذلك البحث: إن النشاط الثقافى المصرى حل فى الأقطار العربية محل ثقافات أخرى، غير مصرية وغير عربية، كان يمكن أن تقوم فى تلك البلاد.

□ سئل الأستاذ كامل كيلانى عن رأيه فى «الريالزم» فقال: إنه «الشنفرالزم». وهذا إشارة إلى ما روى عن بشار بن برد من أنه رأى فى المنام حماراً له كان قد مات، فأنشده الحمار قصيدة تتضمن أنه مات غراماً بأتان فتنته، أولها:

سيدى خذ بى أتانا عند باب الأصبهانى
تيمتنى يوم رحنا بثنايا الحسان

إلى أن يقول فى وصف الأتان:

ولها خد أسيل مثل خد الشنفرانى

ولما سئل بشار عن «الشنفرانى» قال لسائله: إنه من غريب الحمير، فاذا لقيت حماراً فاسأله!

□ سمعت من يتحدث فى ركن الفلاح بالإذاعة المصرية، يقول: «وجت لنا العجالة دى من قسم الحيوان بوزارة الزراعة» وما أحسب المقصودين بهذه الإذاعة فهموا «العجالة» إلا على أنها مؤنث (العجل)! أليست آتية من قسم الحيوان؟ ثم أليست اللغة العربية السهلة أوضح من هذا الخلط؟

□ تفتح فرقة المسرح الحديث موسمها على مسرح الأوبرا الملكية، برواية «ابن جلا» للأستاذ محمود تيمور بك، يوم السبت ١٨ نوفمبر الحالى.

ولو كان هم واحد هان خطبه ولكنه هم وثان وثالث .

متعك الله بالصحة والسعادة لخدمة المجتمع البائس الحائر

ضياء الحائر

بكلية الشريعة

لك الله يا ضياء ! إنك لست « حائراً » من قليل . . فقد تكشفت لنا حيرتك منذ شهور عن « حيرة الجيل الجديد في الأزهر » إزاء المؤلفات القديمة المعقدة ، تلك الحيرة التي أرجو أن تزول على يد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم .

أما الموضوع الذي يحيرك اليوم فأمره بالغ العجب .. ولولا ثقتي بك ما صدقت هذا الذي تصف . على أنك لم تبين لنا وجهة نظر « المختصين » في وضع السبورات وراءكم ظهريا . فقد يرون مثلا أن في ذلك تمرينا لعضلات العنق بتحريك الرأس للنظر إلى الوراء ! وقد يكون الغرض أن تحدسوا ما على السبورة وهي خلفكم ، على طريقة اللعبة التي تعصب فيها العينان ! وقد اكتفيت بما سمعته من بعضهم أنهم كانوا يتلقون العلم على الحصر أما أنتم فاحمدوا الله على أنكم جالسون على مقاعد ، فما أشد طموحكم ! أتريدون مع ذلك أن تكون السبورة أمامكم . . ؟

في الأمور التافهة ما يبعث أحياناً على التأمل ، ووضع السبورات خلف الطلاب في كلية الشريعة من هذا القبيل ، وأنا لا أزال أتخيل هذا المنظر الطريف وأتأمل ... إنني أيضاً حائر ...

حول مشكلة القراءة :

قرأت بالعدد ٩٠١ من الرسالة الغراء ما تفضلتم بكتابته تعليقاً على مقال للأستاذ محمد علي غريب بجريدة الزمان عن مشكلة القراءة أو ظاهرة الإعراض عن القراءة المتفشية بين المتعلمين . وقد أرجعتم ذلك إلى طريقة التعليم من إرهاق التلاميذ والدارسين مما يبغضهم في الكتب . وإني إذ أؤيد ما تفضلتم بذكره أضيف إلى ذلك أن الأستاذ غريب ناقض نفسه حين عرض لاستهلاك الموظفين تفكيرهم في تفهم منشورات العلاوات وحساب الأقدميات بدلا من قراءة كتاب لمبقري موهوب .

إذ كيف يطلب من مثل هذا الموظف الذي يضني نفسه وتفكيره في محاولة زيادة دخله ولو قروشا معدودات ، أن يدفع من دخله هذا الذي لا يكاد يكفي قوته وقوت أولاده ما يكفي لقوت فكره وعقله .

أليس الأجدر من ذلك طبع الكتب طبعة شعبية إلى جانب الطبعة المرتفعة الثمن ، وإذا أردتم اختبار مدى نجاح ذلك فهاكم سلسلة إقرأ التي تقدمها دار المعارف ، وغيرها . ففي ذلك تسهيل لغير القادرين من محبي القراءة وتشجيع لغيرهم علاوة على الكسب المادي والأدبي الذي يصيب الكاتب نفسه .

ولا يفوتني أن أذكر في هذا المجال أن هناك كتباً كثيرة الكتاب أفاضل طبعت ووزعت بالثمن العادي عدة مرات حتى أصبحت السوق منها في حالة تشبع ، فلو أعيد طبع مثل هذه الكتب طبعات شعبية لفتحت سوقاً جديدة رائجة تعود بالخير على البلاد . وأمامنا في هذا كتب Penguin الإنجليزية وغيرها .

وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

محمود طه

تعقيبي على هذه الرسالة يشمل ما يلي :

١ — هل الموظفون يريدون أن يقرأوا ولكنهم لا يستطيعون شراء الكتب ؟ أنا لا أسلم بهذا ، فإن أي موظف يمكنه — إذا أراد — أن يستعيض عن الجلوس في القهوة بالقراءة ، وما يبذله في الأولى يكفي للثانية ، وهل هم — وأعني بكل هذا الغالبية لا الجميع — يستفيدون من الكتب الزهيدة الثمن التي أشار إليها الأستاذ ؟ أو هل يستفيدون من دور الكتب العامة بالقراءة فيها والاستعارة منها ؟ وهناك غير دار الكتب المصرية مكتبات في كثير من المصالح والدواوين وكثير من عواصم الأقاليم وخاصة مكتبات المدارس والمعاهد والكليات . أنا شخصيا قرأت أكثر ما قرأت عن طريق الاستعارة ، فلم تسعفني الظروف دائماً بشراء ما أردت من الكتب ، ومن المعروف نفسيا أن مستعير الكتاب يسرع إلى قراءته أكثر ممن يشتريه ، ولهذه الحقيقة فضل على كبير ...

٢ — إذا سلمنا أن مسألة الثمن مشكلة ، فهي مشكلة

تاريخ داريا

للقاضي عبد الجبار الخولاني

بتحقيق الأستاذ سعيد الافغاني

كتاب وجيز جم الفوائد يقع في ١٥٢ صفحة من القطع الوسط
من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

للاستاذ عز الدين التنوخي

عهد المجمع العلمي إلى الاستاذ المحقق سعيد الأفغاني بنشر تاريخ داريا للخولاني فاستفرغ في تحقيقه وسعه ، وقدم له مقدمة

الراغبين في القراءة ذوي الدخل القليل ، وهم نادرون ، والكثرة لا تريد أن تقرأ كتباً ولو أهديت إليهم .

٣ — أثمان الكتب عندنا أغلى من البلاد الأخرى ، والكتب الرخيصة الثمن التي تصدر في إنجلترا مثلا ، هي كتب قديمة يعاد طبعها بنفقات قليلة بعد أن شبع أصحابها كسبا .

٤ — انصراف الناس عن قراءة الكتب يرجع بعض أسبابه إلى المؤلفين ، فهؤلاء لا يكتبون في مسائل العصر ولا يصورون واقع الحياة ، وإنما يهربون إلى التاريخ والدراسات ، أو يعتكفون مع تأملاتهم العاجية . فالنتيجة المؤسفة أن الناس ينظرون في الكتب فلا يجدون أنفسهم فيها ، فيرغبون عنها إلى الصحافة التي تربطهم بالواقع وتعرض عليهم صور الحياة

٥ — أرى أننا نسرف كثيرا في الغض من شأن الصحافة من حيث فائدتها في القراءة ، أو نقلل من أهميتها بالنسبة إلى المؤلفات الحديثة . حقا هناك كثير من المجلات المسلية الثقافية ، ولكن هذا لا ينبغي أن يجور على غيرها من المجلات ذات المنهج الثقافي ؛ وكثير من الصحف اليومية والأسبوعية تنشر أشياء ذات قيمة ، وقراءة كل ذلك لا شك مفيدة ، وهي تمتاز على الكتب — كما سبق — بأنها متجددة ، تساير الزمن ، وتلائم روح العصر ، وتربط القراء بعجلة الحياة .

عباسي مضر

مهمة في تواريخ البلدان . ولهذا التاريخ مزيتان تسترعيان الإعجاب :

الأولى : تفرده بروايات ومعلومات لا توجد في المطولات كتاريخ ابن عساكر الكبير . والثانية : بحث المؤلف عن داريا وأحوال أهلها وأنسابهم . وهو ينص آخر أكثر التراجم على ذراري أصحابها فنعلم مثلا أن صحابيا كأبي راشد الخولاني الذي سماه النبي وكناه بقي ولده يتناسلون بداريا حتى سنة ٣٦٥ وهو عام قراءة تاريخ داريا على المؤلف

وداريا كانت قديما أم قرى الغوطة ، والمقل الأول لليمنيين ، وهي اليوم ثانية قرى الغوطة ، بعد دوما العاصمة ، وحاضرة القرى الجنوبية منها ؛ ولبثت قرونا كثيرة منار العلم والأدب ، فكان يقال : « من أراد العلم فليترل بين عنس وخولان بداريا » .

إن هذا التاريخ الذي يحق لأهل داريا أن يفاخروا به هو أحد تلك الكتب الجمة التي ألفها أسلافنا في تواريخ البلدان كالقاهرة والإسكندرية والصعيد ودمشق وبغداد وقرطبة وغرناطة وتونس والقيروان وغيرها . ومن مفاخر رجال داريا أبو الحسن علي بن داود المقرى ، وله خبر طريف يتصل بتاريخ دمشق وداريا مما ننقله على سبيل المثال لما في هذا التاريخ الممتع على إيجازه وحواشيه من فوائد.. ذلك أن أبا الحسن هذا كان يؤم أهل داريا فات إمام جامع دمشق فخرج أهلها إلى داريا ليأتوا بإمامها إماماً لجامعهم الكبير إذ لم يكن في دمشق خير منه ، وكان فيمن خرج معهم القاضي أبو عبد الله بن النعيبي الحسيني وجلة شيوخ البلد . ولما بلغوا داريا مانع أهلوها بالسلاح في رحيل إمامهم إلى دمشق وخلو بلدتهم من فضله ، فقال لهم قاضي دمشق :

— يا أهل داريا ، أما ترضون أن يشيع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إلى إمام داريا ليصلي بهم ؟ فقالوا :

— رضينا ، وألقوا السلاح !

هذا ، ويدل على مبلغ عناية المحقق الفاضل الأستاذ الأفغاني

الذى أخرج لنا تاريخ داريا بهذا الضبط والإتقان أن الناسخ لهذا التاريخ شبه عامى ، فكثرت أخطاؤه فى أعلام الرجال وأنسابهم تحريفا أو إسقاطاً ، فاقتصر المحقق فى الحواشى غالباً على ما يتعلق بتحقيق النص وضبط أعلامه وشرح لغوياته ، ولم يتعرض لذكر الروايات المختلفة للحديث لأن نهجه الذى رسمه لنفسه أن يخرج للناس أصلا مضبوطاً ، لا شرحا مبسوطا ، ولم يغفل مع ذلك ذكر وفيات الرجال التى تركها المؤلف الذى لم يذكر من ٤٧ ترجمة إلا وفيات سبعة من أصحابها .

إن الأستاذ الأفغانى مثال لرجال العلم المفتونين بدمشق بالعلم والأدب ، والذين وهبهم الله للتحقيق جميل الصبر والدأب ، قابل الله جميل صنعه للآداب ، بجميل حمده والثواب .

عمر الدين الشوفى

عضو المجمع العلمى العربى

دمشق

كتاب الخطابة لأرسطوطاليس

ترجمه وقدم له وحقق نصوصه وعلق حواشيه

الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامه

للاستاذ أحمد محمد الحوفى

كان أرسطو ومازال بدعاً فى تفكيره ، وينبوعاً ثرا صافياً يستقى منه الباحثون ، يعتزون بآرائه ، ويفصلون فيها القول ، ويشتقون منها الأدلة كأنها من وحى هذا العصر .

وقد فطن العرب فى عصرهم الذهبى إلى نفاسة مؤلفاته ، فترجموا بعضها ، ثم استقل فى العصر الحاضر معالى الأستاذ لطفى السيد باشا بترجمة كتاب الأخلاق

ولكن « كتاب الخطابة » — وهو من أجل كتب أرسطو وأصحها نسبة إليه — ظل بعيداً عن اللسان العربى فى صورته الصحيحة الكاملة إلى أن نهض بترجمته « الأستاذ الدكتور إبراهيم سلامه » ترجمة دقيقة أمينة سلسلة موسومة بطابع الأديب الذواق حين ينقل من لمة يدرك بلاغتها إلى لغة يفقه أسرارها .

ولم يشأ أن يحبس عمله على الترجمة وحدها ، ولو أنه فعل ذلك وحده لكان جديراً بالشكران ، وإنما قدم الكتاب بمقدمة حافلة فى نحو مائة صفحة ، تشع نوراً على أرسطو ، وعلى كتاب الخطابة وهى وحدها بحث قيم ، بل كتاب مستقل خليق بالإعجاب .

عرض المترجم فى المقدمة حياة أرسطو وكتبه ، وأثبت أصالة كتاب الخطابة من حيث إنه صحيح النسبة لأرسطو فليس لاالغيره ممن تقدمه من الخطباء أو ممن تأخر عنه من تلاميذه . ومن حيث إن أفكاره أصيلة فى نفس أرسطو ، فهو كما يقول « أرنست هافى Arnest Havet » : « ذو طريقة و نهج تفرد به أرسطو ، فلم يعرض أحد من سابقيه من خطباء وغير خطباء عرضه ولا نهج نهجه ، ولا تزال جدته باقية على الزمن ولا تزال خصبة منتجة »

وهو لذلك لم يقتصر على الخطابة القضائية كما فعل سابقوه ومعاصروه ، بل شمل بحثه أنواع الخطابة كلها ، وخالفهم فى عرضهم طريقتهم وآرائهم .

وقد تطلب البحث أن يعرض للخطابة قبل أرسطو ، فتكلم عن السفسطائيين ، وعن المدرسة اليونية ، والمدرسة الإيلية وتعارضهما ، ومناقضة السفسطائيين لهما ، ثم عن جدلة سقراط وأفلاطون على السفسطائيين ، ونظرة سقراط إلى الخطابة ونظرة أفلاطون ، ليخلص من ذلك إلى نظرية أرسطو فى الفن الأدبى وتفريقه بين الفلسفة من حيث إنها علم وبين الخطابة من حيث إنها خطة ومنهج يتبعان الخطيب ، ومن حيث إن هدف الخطابة الإقناع وهدف العلم البرهان ... الخ .

ثم سار كتاب الخطابة فى الزمن ، فعين زمن كتابته ، ووضح بعثه فى أوروبا فى القرن السادس عشر ، والترجمات العدة التى تناولته من ١٦٠٨ م إلى ١٩٣٢ وقرر أنه انتقى ترجمتين اعتمد

عليهما : إحداهما ترجمة د. إميل رويل Ch. Emile. Ruelle والثانية ترجمة حديثة ظهرت عام ١٩٣٢ م لـ د مدريك دوفور Medegle Dubovr

وافترض أن يقال : إن الكتاب قد شرح قديماً ، وأضيف إلى الفكر العربي بفضل ابن سينا وابن رشد ، فماذا يدعو الآن إلى ترجمته ؟

ورد على هذا التساؤل بأنه لا يضير الفكر العربي أن تترجم إليه آثار أرسطو عدة تراجم ، هذا على فرض أن ما قام به الفيلسوفان العربيان يعد ترجمة .

والحق أن ما نقله ابن سينا عن أرسطو من كتاب الخطابة مضطرب غامض في كثير من نواحيه وموضوعاته ، لأنه لم يعمد إلى الكتاب يترجمه ، وإنما حاول أن يستفيد منه ؛ فأدمج بعضه ببعض ، وخلط بعضه ببعض ، وأغفل الأمثلة الأدبية التي أودعها أرسطو كتابه ، وكذلك فعل ابن رشد ، وإن كان مختصره أسهل فهما من شرح ابن سينا .

على أن باعثاً آخر يقتضي هذه الترجمة أن كتاب أرسطو لا تزال أفكاره حية خصيبة ، ولا تزال صادقة في تطبيقها ، فمن الخير للأدب العربي أن يترجم ترجمة حديثة سهلة التناول قديرة على تخطي العقبات التي كانت تعوق الترجمة القديمة الحرفية مع ما بذل أصحابها من جهد مشكور .

على أن هذا التساؤل — وقد ورد عليه الدكتور المترجم — لا مدعاة له إذا علمنا أن كتاب الخطابة قد ترجم إلى الفرنسية عشر مرات ، فمن العجز والتهاون ألا يترجم إلى العربية هذه الترجمة المستوفية شرائط الجودة .

ثم عقد المترجم بحثاً قيماً في أثر أرسطو في البلاغة ، أشاد فيه بفضل الدكتور طه حسين في تنبيهه على العلاقة بين البيان العربي والبيان اليوناني . ونوه بهذا البحث القيم وبإعجاب المستشرق المرحوم كراوس به ، وقرر أن نفسه بدأت تساوره منذ ذلك الحين ليترجم كتاب الخطابة ، وعقب على رأي الدكتور طه حسين ببسط له وتدليل .

واقتضى ذلك أن يعرض لآراء الجاحظ وأثره في البيان العربي وتعصبه للعرب ، ورجح أن الجاحظ كان على علم بكتاب الخطابة قبل أن يترجمه حنين بن إسحاق أو إسحاق بن حنين .

واقتضى ذلك أيضاً أن يعرض لآراء ابن المعتز وأصالتها وتأثر بعضها بأرسطو وخاصة ملاءمة الأسلوب التي سماها العرب ملاءمة الكلام لمقتضى الحال . والمذهب الكلامي الذي أخذوه من جدل أرسطو ومنطقه .

ثم عرض لتأثر قدامة بن جعفر بأرسطو ، وأحال من أراد التوسع على كتابه الآخر (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان).

وقد أحسن صنعاً بأن قدم لكل فصل من فصول الكتاب بكلمة موجزة جمع فيها ما تفرق من فقراته ليدرك القارئ إدراكا جليا ما في الفصل من أفكار ، لأن أرسطو لم يكن يكتب كما يكتب المحاضرون كتابة مرسلة مترابطة ، بل كان يكتب فقرات في الموضوع الواحد ، كل فقرة تحمل فكرة .

وأحسن صنعاً بهذه التعليقات القيمة التي أضافها إلى الترجمة وهي كثيرة قلما خلت منها صفحة ، كما أنه ذيل الكتاب بفهرس مفصل يوضح مقاله ، ويرشد إلى أجزاء كل موضوع منه .

وبعد :

فإن الدكتور إبراهيم سلامه قد نفح الأدب العربي بهذه الترجمة نفحة عظيمة القدر بالغة الأثر ، وحقق ما كان يصبو إليه الأدباء والباحثون منذ عهد بعيد أن يقرأوا خطابة أرسطو كاملة النقل دقيقة الأداء صائبة الترجمة متسقة الموضوع ، وما من شك في أن هذه الترجمة عمل أدبي عظيم جدير بالإشادة والتقدير .

وإن الأدب العربي ليتطلع في شوق إلى الجزأين الآخرين من كتاب الخطابة ، وإلى (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) ، ويشرئب في لهفة إلى كتاب أرسطو في الشعر ، ويدفعه إلى ذلك ما يتمتع به الدكتور سلامه من بسطة وعمق في الثقافة ، ومقدرة على تذوق البلاغة العالية في الفرنسية والعربية ، واقتدار على التعبير الطيع ، ومكانة ملحوظة مرموقة .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

قصـــــة التباس

للاستاذ نجاتي صدقي

عثر سكان قرية انجليسيدس في جزيرة قبرص على جثة رجل مهشمة ملقاة على الخط الحديدي الممتد بين نيقوسيا وفاماغوستا، وسرعان ما عرفه أهله فهو البناء يانافيس ستافري. فحملوه إلى القرية بين الولولة وقرع الصدور، فبكته زوجته طويلا، وذرف أولاده دموعهم السخينة على جثمانه، وأقاموا الحداد في البيت، ورفعوا على دارهم اللواء الأسود وهو يحمل الأحرف الأولى من اسم الفقيد، كما هي العادة المتبعة في تلك الديار.

ثم شيع أهل ستافري وسكان القرية الفقيد إلى مقره الأخير وكان الناس يغدون إلى بيته بلا انقطاع مواسين معزين سائلين الله أن يجود ستافري بشآبيب رحمته ورضوانه.

وبعد مضي أربعة أيام على هـــذا الحادث ظهر ستافري في القرية فجأة، وقد أثار ظهوره بعد موته ضجة ولغطاً لا حد لهما. فمن سكان القرية من ظن بأن في الأمر شعوذة، ومنهم من ظن أن ستافري مات لكن روحه ظهرت في شخص آخر، ومنهم من أخذ يفكر جديا فيما إذا كان للشيطان إصبع في هذه القضية.

وعلى كل حال استقبل القرويون ستافري بحذر شديد، أما هو فلم يفقه شيئاً من هذه الحالة الشاذة، لم يدر لماذا يرمقه الناس بنظرات التفحص والاستغراب، ولماذا رفع على بيته لواء الموت الأسود وهو يحمل الأحرف الأولى من اسمه، ولماذا استقبلته اسرته بمظاهر الترحيب والنحيب.

وبعد أن هدأت العاصفة واطمأنت النفوس زال الالتباس واتضحت الحقيقة.

كان ستافري قد أخبر زوجته مرة بأنه مسافر في طلب الرزق وأنه سيعود إليها في مساء اليوم ذاته، فذهب إلى قرية (انكورا) وعمل فيها في بناء جناح لدير لها، وقد تطلب العمل في بناء هذا الجناح أربعة أيام متتالية لم يتمكن ستافري خلالها من إخبار زوجته عن مكان عمله، أو لم يجد لزوماً لإخبارها لأنه اعتاد التغيب في طلب العمل.

وحدث في اليوم الثالث من سفره أن وجد سكان قرية انجليسيدس جثة مهشمة ملقاة على الخط الحديدي، وكانت الجثة شديدة الشبه بستافري فحملها القرويون على أنها ستافري نفسه، وأكدت زوجته بأنها جثة زوجها وقد عرفته من علامات فارقة.

وهكذا انقلب حزن القرية إلى فرح، وأنزل اللواء الأسود عن باب بيت ستافري، وعم السرور الجميع، فصاروا يفدون إلى بيته مهنئين مرحبين بعد أن أتوه بالأمس مواسين معزين.

وظلت قصة ستافري هذه مدار حديث القرية بل جزيرة قبرص بأسرها مدة من الزمن وقد نسوها الآن أو كادوا ينسونها. أما ستافري وأسرته فلم ينسوا الحادث وهم لا يزالون حتى يومنا هذا يعالجون ذيوله، فهم لا يدرون من هو هذا الشخص الذي يرقد في قبر أسرتهم على أنه أحد أفرادها! . وهم لا يدرون لماذا لم يأت أحد يطلب جثة القتيل.

وأخيراً رفع ستافري قضية في المحاكم على أسرة مجهولة لقتيل مجهول يطلب فيها تعويضاً بسبعين جنيهاً هي ثمن البسة ستافري الجديدة التي ترقد فيها الجثة المجهولة الهوية، وهي أيضاً نفقات جنازتها وما تبع ذلك من تضييفات وتوزيع مال على الفقراء.

وقد أصدرت المحكمة حكماً في صالح ستافري فســـ يجري تنفيذه فور ظهور أسرة القتيل الغريب.

غير أن هذه الأسرة لم تظهر بعد!.

— ٢ —

السيد سليم شخص دنيوي، يسهر الليالي ويجلس إلى المائدة الخضراء ويعاقر بنت الحان، ويماجن دون أن يعرف لهذه

المهاجنة حدا .

وفى صباح أحد الأيام وبينما كان السيد سليم فى دائرته يقوم بأعباء وظيفته أحس بدوار شديد فحمله زملاؤه وأرقدوه على المتكأ فغاب عن الوجود إلى أن جاء الطبيب . وبعد أن فحصه قال ، لقد عرفت كنه مرضه . فقيل له : وما هو ؟ قال : انخفاض فى ضربات القلب ناتج عن قلة النوم والإكثار من شرب الخمرة. فقيل له : وكيف تعالجون هذه الحالة . فأجاب الطبيب هاكم العلاج : وصفع السيد سليم بضع صفعات على وجهه ، وإذا به يثب متنمراً « قائلا » : أين أنا ؟ . وما لكم مجتمعين حولى ؟ . . وما سبب وجود الطبيب ههنا ؟ . .

فانتحى به الطبيب جانباً « وحدثه بما جرى وأفهمه بأنه اضطر إلى صفعه ليعيد إليه شعوره ، فشكره السيد سليم على حسن صنيعه هذا .

وبعد مضى شهر تقريباً على هذا الحادث التقى السيد سليم فى أحد الشوارع بجماعة من الناس ملتفين حول رجل مستلق على الأرض وهو فى غيبوبة تامة . . وتدل ألبسة الرجل على أنه من المتعطلين الفقراء ، كما تدل صحته على أنه من المحتاجين الجائعين .

فشق السيد سليم طريقه بين الجمع وهو يصرخ : ابعدوا عنه ابعدوا فعلاج هذا الرجل عندى ! ثم تقدم من الرجل البائس ورفعه من الأرض قليلا وأسند رأسه إلى الحائط وأخذ يصفعه على وجهه بشدة . . وما هى إلا ثوان حتى شهق البائس شهقة وأسلم الروح !

فنهض السيد سليم وشق طريقه بين الناس المشدوهين وصرخ فيهم قائلا : أتريدون منى أن أحيى الموتى ؟ !

نجاتى صدقى

مجلس مديرية القليوبية

الادارة الهندسية القروية بالقليوبية

تقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ٥ — ١٢ — ١٩٥٠ عن : —

١ — انشاء أسوار وأعمال تكميلية .

٢ — انشاء توصيلات لمواسير وذلك لعمليات المياه الميكانيكية بدائرة مديرية القليوبية .

ويمكن الاطلاع على الرسومات والحصول على المواصفات من الادارة الهندسية بعد تقديم طلب على عرضحال ثمنة وسداد رسم جنيه مصرى لكل عملية على حدة ما

٦٦٠٨

مجلس مديرية القليوبية

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ١٧ ديسمبر سنة ٩٥٠ عن توريد كراسات وأدوات كتابية وأقمشة وخيوط وملابس جاهزة والخامات والعدد والأدوات اللازمة لورش الأحذية والسجاد والخيزران والطباعة والموسيقى .

ويمكن الحصول على قائمة المناقصة مقابل مبلغ ١٠٠ مليم يضاف إليه مبلغ ٥٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة ثمنه من فئة ثلاثين مليما .

٦٦٣٧

اقصدوا

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل

من الساعة ٨ ٣٠ إلى الساعة ١٤ ٠٠

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون رقم ٤٩٣ مدينه

مطبعة الرسالة